سلسلة الظاهر والباطن
(١)

موسى والخضر عليهما السلام

علمي الظاهر والباطن

تأليف

محمود المراكبي

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

سلسلة الظاهر والباطن (١)

موسى والخضر عليهما السلام

علمي الظاهر والباطن



تأليف

محمود المراكبي

رقم الإيداع : ٣٠١٠ / ١٩٩٦ م

الترقيم الدولي
I . S . B . N . 977 - 19 - 0301 - 2

مقدمة الكتاب

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾.[1] ﴿كتاب فصلت آياته قرآناعربيا لقوم يعلمون﴾.[2] له الحمد سبحانه حيث أنزل القرآن تبيانا لكل شيء، وأكد سبحانه ذلك بقوله:﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.[3] ثم الحمد لله كل الحمد حيث تعهد بحفظ القرآن ولم يوكل ذلك إلى غيره، وأنزل إلينا خاتم أنبيائه وخاصة رسله وأصفيائه سيدنا محمد ﷺ الذي جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، بلّغ رسالة ربه ونصح لقومه، شرح لهم الدين وبيّنه لهم أوضح تبيين، وفصل لهم حقائقه، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾.[4] وأشهد أن نبينا ﷺ اختار الرفيق الأعلى بعد أن أكمل رسالته، وأتم أركانها، وأحل حلالها وحرم حرامها، وأقر منهجها ومهد طريقها، وما ترك سبيلا يقرب إلى الله إلا ودلنا عليه، وما خاف على أمته من ذنب صغير أو كبير إلا وحذرها منه، وأشهد أصحابه على ذلك يوم الحج الأكبر، فشهدوا أنهم تلقوا عنه الدين واضحا جليا لا لبس فيه ولا غموض، ليله كنهاره، فما ترك أمته إلا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، اللهم صل وسلم وبارك على سيد ولد آدم، المبعوث رحمة للعالمين، الشفيع يوم الهول الأكبر، صاحب لواء الحمد يوم المثول بين يدي الله ﷻ والعرض، فاللهم اجز عنا نبيك أفضل ما جزيت نبيا عن قومه، واحشرنا يامولانا في زمرته وتحت لوائه، وصل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وبعد،،،

فتعد قصة موسى والخضر عليهما السلام من القصص الغنية التى شغلت المسلمين طويلا، بل إن بعض الناس جعل منها عمود الرحى الذي تدور حوله أفكارهم ومعتقداتهم، بل إن الفرق الباطنية قسمت الدين إلى ظاهر وباطن اعتمادا على الوقائع التى أجراها الله تبارك وتعالى على يدي العبد الصالح، وقد شغلتني هذه القصة كما شغلت غيرى من السالكين إلى الله ﷻ. وكان يشدني أي كتاب يتناول هذه القصة، وقد اطلعت على أكثر الكتب المطبوعة للمؤلفين المعاصرين أو القدامى مثل: "الزهر النضر في نبأ الخضر" لابن حجر العسقلاني،

---

١ سورة الكهف آية ١

٢ سورة فصلت آية ٣

٣ سورة الأنعام آية ٣٨

٤ سورة النحل آية ٤٤

و"الميزان الخضرية" للشعراني، و"الخضر عليه السلام وشأنه في الأنام" لحسين السلواوي، و"حياة الخضر" لمحمود شلبي، هذا بخلاف أمهات الكتب التي بحثت الموضوع من جوانب متعددة، وكانت تستوقفني أخبار هذا اللقاء المتناثرة في أمهات كتب التفسير والحديث الشريف، وكتب الرقائق والتصوف وغيرها، وقد لاحظت أن هذه الكتب تتناول القصة مجردة عن النتائج التى بنيت عليها، كما أن مؤلفيها إما صوفي مؤيد لحياة الخضر وولايته، وإما منكر معارض للصوفية، ولم أجد في هذه الكتب ما يشفي غليلي ويغطي جوانبه بما يحسم القضية، وهذا لا يتأتى إلا بمناقشة أفكار كل طرف وأدلته، وقياسها على هدي الكتاب والسنة، ثم مناقشة الآثار المترتبة على هذه الأفكار.

وقد بدأ اهتمامي بهذه القصة منذ سنة ١٩٧١ حيث كانت بداية رحلتي في السلوك إلى الله تعالى من خلال التصوف، حيث خضت هذه التجربة الصوفية كاملة غير منقوصة، فقد تلقيت الطريق وسلكت مقاماته السبع المعروفة ثم كُلفت برتبة مشيخة الطريق، ومن ثم كنت أستفتح حضرات الطريق التي تقام في مسجد التحرير ومسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها، ثم تلقيت الإذن "بدعوة الخلق إلى طريق الحق"، ثم الإذن بترقية السالكين إلى مقام المشيخة، وخلال أربعة عشر عاما عشتها في التصوف، مَنَّ الله تبارك وتعالى علي فيها بحب العلم والقراءة والإطلاع في مختلف العلوم الإسلامية، وقد تعاظم في قلبي حب الكتاب والسنة، وكلما ازداد السقي من حياضِهما كلما تبين لي الشطط والغلو في الفكر الصوفي، واعتماده على فهم خاص من قصة موسى والخضر ولقائهما، ثم ظهرت لي مخالفات التصوف وحيود فكره عن فهم السلف الصالح، فَرُحتُ أنقب في الكتب، وأربط بين حقائقها، وأجمع الأدلة والشواهد، وأتوقف شيئا فشيئا عند المفاهيم المنحرفة للصوفية، وكلما توقفت عند قضية لا أفارقها حتى أصل بتوفيق الله تعالى إلى الحق فيها، بل ويستمر بحثي فيها حتى أصل إلى جذورها وكيف تسربت هذه المفاهيم إلى الإسلام، ومن هو أول من نادى بهذه الأفكار، ولولا توفيق الله تعالى ما تيسر لي أن أجمع هذه الحصيلة العلمية، التى أرجو الله تبارك وتعالى أن يجد فيها القارئ الكريم ما يروي به الظمأ، ويشفي به الصدر.

ثم حاولت في كتابي "القول المبين لنفع السالكين" نصح أبناء التصوف، وإرشادهم إلى الحق، وتنبيههم على ما تحتويه الأوراد من أفكار دخيلة على الإسلام، بل وحرصت خلال هذه الفترة على مناقشة مشايخ الطريق، وحاولت جاهدا - ولساعات طوال - أن أحصل على إجابة تُجَلِّي أي قضية من القضايا التي طرحتها عليهم، ومن العجيب أن الأصل عندهم هو الشيخ ولا وزن لما يصح في السنة، فالأمر عندهم فتوحات وأسرار ومنامات وأحوال،

والتزام أعمى بما تلقوه عن شيوخهم، وقد طرحت على بعض المشايخ أقوال الشطط المنبثة في كتب الصوفية دون أن أحدد لهم القائل فكانوا يكفرون القول وقائله، ثم إذا أطلعتهم على القائل، قالوا هذا من كبار الأولياء لا نقدر عليه ولا نعترض على مثله وهو أدرى بما يقول!

لذلك وجدت لزاما علي أن أنقل تجربتي ومعايشتي الكاملة للصوفية من نطاق التجربة الشخصية إلى دائرة البحث والتأصيل العلمي، والخروج من أخطاء في طريق صوفي معين إلى مناقشة مفاهيم التصوف الأساسية، ونقل الأمر لكل من يهتم بالتصوف، وسيكون ذلك من خلال سلسلة من الكتب تحت عنوان "سلسلة الظاهر والباطن"، وكتابنا الذي بين يديك الآن هو الحلقة الأولى نتناول فيه قصة موسى والخضر التي تمثل حجر الأساس في تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، ويتناول هذا الكتاب اللقاء من جوانب متعددة، وسنحدد بوضوح نتائج هذا اللقاء والدروس المستفادة والعبر. وسيجد القارئ الكريم إجابات محددة لمجموعة من الأسئلة الهامة منها: من هو الخضر؟ وهل هو حي حتى اليوم؟ وما هي مهمته؟ أهو نبي أم ولي؟ وما الهدف من لقائه موسى؟ وما هو العلم اللدني؟ ثم نناقش بإذن الله في الكتاب الثاني من هذه السلسلة فكرة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وما هو التقسيم الإلهي لهذا الدين، ونشرح التقسيمات الباطنية للعلم والسلوك والدين، ونوضح خطورة هذه التقسيمات الوضعية، والنتائج المترتبة عليها.

ثم نعرض في الكتاب الثالث من هذه السلسلة لنشأة الفكر الباطني، وتطور الباطنية ودور الفلسفات القديمة قبل اليهودية ثم دور اليهودية ثم المسيحية في العلم الباطني، ثم نتعرض لأهم أفكار وعقائد الباطنية قبل الإسلام، ثم نتناول المراحل التي تسرب من خلالها الفكر الباطني إلى الإسلام، ثم نعرض لأهم الفرق الباطنية في الإسلام، ثم نفرد بابا كاملا لبيان عقيدة الشيعة ثم عقائد غُلاة الباطنية ومنهم الإسماعيلية والدروز والنصيرية.

ثم نُفرد الكتاب الرابع من هذه السلسلة، لبيان "عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة" نوضح فيه تأثر الفكر الصوفي بأفكار الباطنية، ونخصص فيه أبوابا لمفردات الفكر الصوفي ونربط بين أفكار القوم والمناهل التى أُسْتُقِيت منها هذه الأفكار ثم نترك للقارئ أن يقرر هل الصوفية بهذه الأفكار تعتنق عقيدة أهل السنة أم هي فرقة باطنية؟، وقد كان العزم أولا على طبع هذه السلسلة من الكتب في كتاب واحد، إلا أن زيادة حجم الكتاب هي التي وجهتنا إلى فكرة التقسيم، وقد حرصنا على الوحدة الموضوعية لكل كتاب، ويتعرض كتابنا هذا لمحور الفكر الباطني وجوهره الذي يعتمد عليه، فمن أراد أن يضم إليه باقي أجزاء سلسلة علم الظاهر والباطن، فسيجتمع لديه مرجعا نرجو أن يكون وافيا في بابه.

منهج الكتاب

وقبل أن نشرع في الكتاب نود أن نوضح منهجنا والأسلوب الذي اتبعناه فيه، فنقول وبالله تعالى التوفيق: "إن منهجنا هو منهج المحَدِّثين، وسنعرض أكبر قدر ممكن من أشهر الروايات التي ذكرها أصحابها، ونقلها عنهم العلماء، وكما هو معلوم عند المحدثين أن المتن يستند على السند ويعتمد عليه، فإن صح السند نظرنا في المتن، وإن لم يصح السند أو اختل فيه شرط من شروطه، فقد سقطت درجة الحديث، وعلى قدر الخلل يكون نزول الحديث إلى درجة الضعيف، ومن دونه الموضوع، والحديث الموضوع هو الكذب المفترى على النبي ﷺ وقد وضع علماء الحديث خمس شروط وضوابط يصح بها السند وهي: اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبط الرواة، وعدم الشذوذ، وعدم العلة".

فإذا قرر علماء الحديث أن الحديث موضوع، نقلنا أقوالهم وأشرنا إلى المصادر التي نقلنا عنها هذه الأحكام، كما سنشير إلى تعليق العلماء على إسناد كل رواية واتصال رواتها ومرتبة رجالها وأقوال علماء الجرح والتعديل عنهم، ثم نناقش مضمون القصة وما ترمي إليه، وموافقتها للنقل والعقل، حتى نصل إلى قناعة عن قيمة الرواية وما تضيفه إلى قصة موسى والخضر. كما ننقل فهم سلف الأمة وأقوالهم؛ ثم نستخلص من ذلك الدروس والعبر، ونوجز النتائج، ولا نناقش أفكار الفرق إلا من كتبهم وحسب رواياتهم في كتبهم المعتمدة عندهم، وفي كثير من الأحيان أسوق النصوص دون أي تعليق عليها، وأنا أقصد من ذلك أن يصل القارئ إلى النتائج قبل أن يراها مدونة أمامه، وبهذا نجعل الكتاب مشاركة بين المؤلف وبين القارئ، وستجد كثيرا من المعلومات الهامة مذكوره في الهامش كتعليق حول النص، وقد قصدت ذلك حتى لا تزدحم المعلومات أمام القارئ الذي يريد معرفة خلاصة الأمر، أما من أراد أن يستقصي الأمر كاملا فعليه أن يتتبع التعليقات ففيها معلومات هامة وتوثيق واضح، وهو بذلك يعتمد في تكوين أفكاره على علماء الأمة وسلفها المبارك.

كما استخدمنا الأقواس ﴿ ﴾ حول الآيات القرآنية، والأقواس ﴿ ﴾ حول الأحاديث النبوية، وعلامات التنصيص " " حول أقوال الرجال التي ننقلها من مصادرها، والله نسأل أن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن يسدد خطانا وييسر مسعانا، ويجعل الحق أحب إلينا من أنفسنا، وأن يحبب إلينا الإيمان وأن يزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يحشرنا في مستقر رحمته مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول

العبد الصالح

١- من هو العبد الصالح؟

٢- حياة الخضر عليه السلام

٣- الخضر والفرق الباطنية

٤- القول المبين في حياة الخضر

الفصل الأول

من هو
العبد الصالح؟

١- اسم العبد الصالح؟
٢- بدء أمر الخضر
٣- نسب العبد الصالح

الفصل الأول: من هو العبد الصالح؟

أولا: اسم العبد الصالح

لم يذكر القرآن اسما للعبد الذي لقي موسى عليه السلام، وإنما أشارت الآيات إلى وصفه بالصلاح واختصاصه بعلم من لدن الحق تبارك وتعالى، في حين نصت السنة النبوية المطهرة أن اسمه الخَضِر، وسبب تسميته يرويه البخاري عن النبي ﷺ حيث يقول: ﴿إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء﴾.[1] وعن مجاهد قال: "إنما سمي الخضر لأنه أينما صلى اخضر حوله"[2] واتفق في الصحاح أن كنيته أبو العباس.

ثانيا: بدء أمر الخضر

لم يتوقف المغرمون بغرائب الأمور عند القدر الذي صرحت به مصادر الدين الأصلية، بل شغلوا أنفسهم بأمور كثيرة لا تقدم ولا تؤخر في صلب قصة موسى والخضر عليهما السلام، منها ما هو بدء أمر الخضر؟ ويجيبنا على هذا التساؤل الحكيم الترمذي في كتابه ختم الأولياء، فبعد أن وصف الأولياء وأوضح علاماتهم نراه يقول:

"اتفاق الألسنة بالثناء عليهم، إلا من ابتلي بحسدهم، .. استجابة الدعوة وظهور الآيات: مثل طي الأرض، والمشي على الماء، ومحادثة الخضر عليه السلام، الذي تُطوى له الأرض، برها وبحرها، وسهلها وجبلها، في طلب مثلهم والشوق إليهم، وللخضر عليه السلام قصة عجيبة في شأنهم، وقد عاين شأنهم في البدء، ومن وقت المقادير، فأحب أن يدركهم، فأعطي الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرتهم، حتى يكون تبعا لمحمد ﷺ وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل، وذي القرنين، كان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاتته، وأصابها الخضر في قصة طويلة".[3]

وتقرر هذه القصة أمورا غريبة، أهمها بدء شأن الخضر من يوم كتابة المقادير، وحبه

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رقم ٣١٥٠ حسب ترقيم العالمية، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣١٢:٢، وسنن الترمذي ٣١٥١، وابن حبان في صحيحه ٦١٨٩

٢ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأبي إسحق النيسابوري المعروف بالثعلبي ٢٢٠

٣ ختم الأولياء للحكيم الترمذي ٣٦٢، ويقول الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق في كتابه الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة أن الحكيم الترمذي أول من افترى القصة الصوفية للخضر، انظر صفحة ٢١٨

للصالحين هو سبب بقائه إلى قيام الساعة، وأنه عاش في زمن إبراهيم الخليل، وأنه شرب من ماء الحياة، وسيكون لنا دراسة وافية لكل هذه النقاط في الفصل الثاني.

ثالثا: نسب العبد الصالح

ومما اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا قولهم حول القضايا الآتية:

- نسب الخضر ومن يكون؟
- متى ولد وكم عاش من السنين؟
- هل وافته المنية، أم مازال يحيا إلى اليوم؟
- هل سيموت قبل قيام الساعة مباشرة؟

قد اختلفت أقوالهم وفاقت العشرة أقوال لم تتفق على أول تساؤل يعرفنا من هو الخضر؟ وسنورد الآن فقط هذه الآراء ثم نناقشها تفصيليا فيما بعد، فقد قالوا الخضر هو:-

١- ابن آدم عليه السلام لصلبه نسئ له في أجله حتى يقتل الدجال.

٢- ابن قابيل واسمه خضرون.

٣- ابن نوح عليه السلام.

٤- من ولد العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل.

٥- ابن أرميا بن خلقيا.

٦- ابن فرعون، وقيل ابن بنت فرعون.

٧- من سبط هارون عليه السلام.

٨- هو المعمر بن مالك بن عبدالله بن الأزد.

٩- هو اليسع.

١٠- أمه رومية وأبوه فارسي.

١١- من ولد فارس

الفصل الثاني

حياة الخضر
عليه السلام

١- قبل الطوفان
٢- بعد الطوفان
٣- بعد الإسلام

الفصل الثاني: حياة الخضر عليه السلام

يقرر القول الأول من الأقوال العشرة التي ذكرناها آنفا أن حياة الخضر عليه السلام ممتدة منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ولا شك أنها حياة أطول من أن نتأملها دفعة واحدة، لذا سندرس الأقوال التي وردت عن هذه الحياة بعد تقسيمها إلى مراحل ثلاث:-

١- حياة الخضر قبل الطوفان.

٢- حياة الخضر بعد الطوفان.

٣- حياة الخضر بعد بعثة النبي ﷺ.

وسنحاول دراسة هذه المراحل على ضوء الكتاب والسنة، فنعرض الآيات القرآنية ثم الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، مع تخريج الآيات من القرآن الكريم، وكذا تخريج الحديث وبيان موضعه من مصادر السنة المعتمدة.

أولا: حياة الخضر قبل الطوفان

تضاربت الأقوال الثلاثة الأُوَل حول حياة الخضر عليه السلام قبل الطوفان، فقالوا: أبوه آدم ومنهم من قال: "أبوه قابيل" وقال آخرون: "أنه ابنُ نوح عليه السلام".

١- الخضر بن آدم

هذا القول رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق والدارقطني في الأفراد من طريق روّاد بن الجراح قال: حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: "الخضر بن آدم

لصلبه ونسئ له في أجله حتى يَقْتُلَ (وفي رواية حتى يُكَذِّب) الدجال".[1]

درجة الحديث: ضعيف ومنقطع وغريب، وقيل: إسناده موضوع.

٢- الخضر بن قابيل بن آدم

وهذا القول ذكره أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني في كتاب المعمرين: قال حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا: "إن أطول بني آدم عمرا الخضر واسمه خضرون بن قابيل بن آدم".

درجة الخبر إسناده معضل.[2]

٣- الخضر بن نوح

وهذا القول من الإسرائيليات التي رواها كل من ابن قتيبة والطبري والنووي وابن عساكر عن وهب بن منبه وورد فيها أن اسم الخضر بليا أو إيليا بن ملكان وقيل كلمان بن فالغ بن

---

١ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤٥:٥ وعقب بقوله: "وهذا حديث مُحَال عن ابن عباس، ثم يتتبع رواته بقوله: "**روّاد بن الجراح** ضعيف"، وقال البخاري: "روّاد لا يكاد أن يقوم حديثه"، وذكره النسائي في الضعفاء ترجمة رقم ١٩٤ وقال: "ليس بالقوي، روى غير حديث منكر، وكان قد اختلط" ويقول عن **مقاتل بن سليمان**: "لا شيء البتة"، وقال وكيع: "مقاتل كذاب"، وقال ابن معين: "حديثه ليس بشيء"، وقال السعدي: "كان دجالا جسورا"، وقال أبو داود: "تركوا حديثه"، وقال زكريا الساجي: "كذاب متروك الحديث"، وقال النسائي: "هو من الكذابين المعروفين يضع الحديث"، وذكره الدارقطني في الضعفاء ترجمة ٥٢٧، وقال: خرساني يكذب، وقد كذبوه وهجروه.

أما **الضحاك فهو الضحاك بن مزاحم**: فقد كان شعبة: "لا يحدث عن الضحاك، وينكر أن يكون لقي ابن عباس"، وقال يحي بن سعيد: "الضحاك عندنا ضعيف". ويقول ابن حجر في الزهر النضر صفحة ١٩: وروّاد ضعيف، ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس راجع تهذيب التهذيب ٣٩٨:٤

٢ ذكره ابن حجر في الزهر النضر صفحة ١٩ وقال: وهذا معضل.

ونقول: أعضل بمعنى أعيا وأوهن، أي أن السند ليس متصلا، وبه سقط راويين غير متتاليين، وهنا السقط في أول الحديث حيث أبهم اسم الشيخ الذي تلقى عنه الحديث، ثم السقط الثاني في إرساله الخبر من شيخه أبي عبيدة دون أن ينسبه إلى تابعي أو صحابي أو يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومثل هذا السند لا ينظر إليه، وهو من أشد أنواع ضعف الإسناد

عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.[1]

يعرض أصحاب هذه الآراء التفسير الآتي عن سبب تعمير الخضر، ومخالفة حياته لسنة الله تبارك وتعالى مع موت البشر.

■ هل عاش الخضر قبل الطوفان؟

يبرر القائلون أن الخضر ابنٌ لآدم عليه السلام رأيهم هذا، بقصة ذكرها ابن اسحق في المبتدأ قال: "حدثنا أصحابنا أن آدم لما حضره الموت جمع بنيه وقال: إن الله منزل على أهل الأرض عذابا فليكن جسدي معكم في المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام، فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه: إن آدم دعا الله أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة، فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي دفنه وأنجز الله له ما وعده فهو يحيا إلى ما شاء الله أن يحيا".[2] وسند هذه القصة معلق ولا يُعرف قائلها، ولا نقلت عمن؟، وهذا النوع من الحكايات لا يعد علما، ومتن القصة ينطوي على ما يلي:-

١- أيخالف آدم عليه السلام سنة الله ﷻ في التعجيل بدفن الموتى؟

٢- كيف يخشى آدم عليه السلام من دفنه ويأمر بترك جسده في مغارة أكثر من عشرة قرون[3]، وما الذى منع الطوفان أن يغمر المغارة؟!

٣- لو قال آدم عليه السلام لبنيه لا تدفنوني، أيجرؤ الناس بعد ذلك على دفن موتاهم ويعرضونهم للعذاب الذي حذر منه أبوهم آدم.

٤- كيف لم يبادر نوح نفسه أو بنوه إلى دفن آدم عليهما السلام حتى يظفر أحدهم بطول العمر، كما تعد الرواية!!

٥- القول أن الخضر بن آدم عليهما السلام يستلزم معاصرة الخضر لرسالة نوح عليهما السلام وإيمانه بها ثم ركوبه السفينة ونجاته من الطوفان وبقاءه حيا بعد وفاة نوح عليه السلام وهذا يتعارض مع القرآن الكريم الذي يقرر أن الناجين من الطوفان هم فقط ذرية نوح قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾.[4]

---

١ رواه الطبري ١٨٦:١، وابن عساكر ١٤٥:٥، وابن عربي في الفتوحات المكية ٣٣٦:٣

٢ نقلا عن الإصابة في تمييز الصحابة ٤٣٠:١ لابن حجر العسقلاني

٣ من المعروف أن بين موت آدم وبعث نوح عليهما السلام حوالي عشرة قرون

٤ سورة الصافات آية ٧٧

فالقول بأن الخضر ابن لآدم من صلبه قول على الله بغير علم، وليس له دليل ثابت من الكتاب والسنة، ومن المعلوم أن دين الله تبارك وتعالى لا يستند على حكايات القصاص.

ثانيا: حياة الخضر بعد الطوفان

تشير الأقوال الثمانية التالية[1] إلى حياته بعد الطوفان نناقشها فيما يلي:-

١- الخضر بن عمائيل بن النون بن العيص بن إسحق: حكاه ابن قتيبة أيضا، وكذا سمى أباه عمانيل مقاتل،[2] ورواه ابن عساكر ونقله عنه ابن كثير وابن حجر.

٢- الخضر بن أرميا بن خلقيا: رواه محمد بن إسحق بن يسار عن وهب بن منبه،[3] وقد رد ذلك القول ابن جرير الطبري.

٣- الخضر بن فرعون أو ابن بنته: رواه محمد بن أيوب عن أبي لهيعة، وقال أبو الفرج ابن الجوزي وهما ضعيفان.[4] يتسم هذا الخبر بالغرابة والسذاجة إذ كيف يكون الخضر ابن فرعون أو ابن بنته ولا يعرفه موسى عليه السلام وهو الذي نشأ في بيت فرعون وبين أفراد أسرته، ثم ما الداعي إلى سفر موسى وفتاه إلى مَجْمَع البحرين للقاء الخضر ؟!.

---

١ ذكر جميع هذه الأقوال ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٤٢٨ وفي الزهر النضر ١٩ – ٢٠

٢ هو **مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخرساني**، أبو الحسن البلخي، المفسر، كذبوه وهجروه، وقال عنه الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٦٤٠٠: هالك، كذبه وكيع والنسائي، وقال البخاري منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال عمرو بن علي: متروك الحديث، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، مات سنة ١٠٥ هـ، ذكره العقيلي في الضعفاء، وترجم له ابن حجر في التهذيب ٢٥١:١٠، ترجمة رقم ٥٠٣ والدارقطني في الضعفاء

٣ **محمد بن إسحق بن يسار** أحد الأعلام، إمام المغازي والسير، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر من صغار الطبقة الخامسة، كذبه سليمان التيمي، وهشام بن عروة، ومالك ويحي القطان ووهيب، وقال عنه ابن معين: "ثقة ليس بحجة"، وقال أبو داود: "قدري معتزلي"، وقال عنه الجوزجاني: يُرْمى بغير نوع من البدع، وقال ابن المديني: صالح وسط، وقال عنه الدارقطني: "ولخص الذهبي القول فيه فقال: ما انفرد به ففيه نكارة، فإن في حفظه شيء، وذكره في المغني في الضعفاء ٥٢٧٥

٤ رواه ابن حجر في الإصابة والزهر النضر، **ومحمد بن أيوب هو الكلابي**، صدوق من العاشرة، وابن لهيعة هو **عبدالله بن لهيعة** صدوق خلط بعد إحراق كتبه، ذكره ابن كثير في البداية ٣٠٤:١، وابن القيم في المنار المنيف ١٢٨، وحكى النقاش أنه ابن فرعون

٤- الخضر من سبط هارون: روي عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن ابن عباس،[1] وإسناده ضعيف جدا.

٥- الخضر بن معمر بن مالك بن عبدالله بن نصر بن أزد: رواه إسماعيل بن أبي أويس.[2]

٦- الخضر هو إلياس روي عن مقاتل، وروى ابن عساكر بإسناده إلى السدي أنه أخوه، ويقول ابن حجر: "وحكي عن مقاتل أيضا، وهو بعيد أيضا".

٧- أمه روميه وأبوه فارسي: رواه الثعلبي في العرائس والسهيلي وابن عساكر وابن كثير.[3]

٨- أنه من ولد فارس: أخرجه الطبري عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب.[4]

* الخضر وذو القرنين

تشير رواية منسوبة إلى كعب الأحبار عن علاقة الخضر بذي القرنين عليهما السلام يقول فيها: "إن الخضر كان وزير ذي القرنين، وأنه وقف معه على جبل الهند، فرأى ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من آدم أبي البشر إلى ذريته: أوصيكم بتقوى الله وأحذركم كيد عدوي وكيد إبليس فإنه أنزلني هنا، فقال فنزل ذو القرنين فمسح جلوس آدم وكان مئة

---

١ هو **أبو النضر محمد بن السائب الكلبي**، المفسر النسابة الإخباري: متهم بالكذب، قال الكلبي قال لي أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب، قال الثوري: اتقوا الكلبي، وقال عنه يحي بن معين: ليس بثقة، قال الجوزجاني: كذاب، قال الدارقطني وجماعة: متروك، ذكره البخاري في الضعفاء الصغير ترجمة ٣٢٢ وقال: تركه يحي بن سعيد، يعلق ابن حجر على هذا الخبر بقوله: وهو بعيد

٢ حكاه أبو الخطاب بن دحية عن ابن حبيب البغدادي راجع الزهر النضر في نبأ الخضر تحقيق مجدي السيد إبراهيم ٢٠، وإسماعيل ابن أبي أويس هو إسماعيل بن عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك الأصبحي، قال عنه أحمد: لا بأس به، وقال عنه ابن معين: ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث، وقال معاوية بن صالح عنه هو وأبوه: ضعيفان، وقال أبو حاتم: محله الصدق وكان مغفلا، وقال النسائي: ضعيف، وقال في موضع آخر ثقة، التهذيب ٢٧١:١، ترجمة رقم ٥٦٨

٣ البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٤:١، يرويه عن ابن عساكر عن سعيد بن المسيب، راجع تاريخ دمشق ١٤٥:٥ والذي أورد الخبر دون إسناده.

٤ أخرجه الطبري ورواه ابن حجر في الزهر النضر، **وضمرة بن ربيعة الفلسطيني** صدوق يهم قليلا، وابن شوذب هو **ابن عبدالله بن شوذب الخرساني** صدوق عابد

وثلاثون ميلا".[1] ولا يخفى ما في هذه الرواية من الشطط، فكيف يكون جلوس آدم مائة وثلاثون ميلا؟!.

* أسطورة عين الحياة

تكثر الروايات المدونة في الكتب عن أسطورة عين الحياة التي شرب منها الخضر فكانت سببا في حياته، وقد أشرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب إلى أن الحكيم الترمذي أورد قصة شرب الخضر من عين الحياة في كتابه ختم الأولياء، كما أشار إليها ابن عربي وغيره في كتاباتهم، ونروي عن السهيلي حكاية طويلة نختصرها خشية الملل يقول فيها: "كان أبو الخضر ملكا وأمه فارسية واسمها الهاء وأنها ولدته في مغارة، وأنه وجد هناك شاة ترضعه، ثم تحكي القصة كيف رباه رجل غير أبيه إلى أن التقى بأبيه، ثم فر منه إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها، فهو حي إلى أن يخرج الدجال، فإنه الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه".[2]

إلا أن أشهر الأساطير التى تقص علينا شرب الخضر من عين الحياة تتناول العلاقة بين الخضر وذي القرنين نذكر منها: "أن ذا القرنين كان له صديقا من الملائكة فطلب منه أن يدله على شيء يطول به عمره فدله على عين الحياة، وهي داخل الظلمات، فسار إليها والخضر في مقدمته فظفر بها الخضر دونه".[3]

وتقول رواية مطولة لنفس القصة "حين طلب ذو القرنين من الملك أن يدله على شيء يطول به عمره فأجابه الملك بقوله إن لله عينا تسمى عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت، فقال ذو القرنين فهل تعلم موضعها؟ قال: لا، غير أنّا نتحدث في السماء أن لله ظلمة في الأرض لم يطؤها أنس ولا جان، فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة، فجمع ذو القرنين علماء الأرض فسألهم عن عين الحياة، فقالوا لا نعرفها، قال: فهل وجدتم في علمكم أن لله ظلمة؟ فقال عالم منهم لم تسأل عن هذا؟ فأخبره، فقال إني قرأت في وصية آدم ذِكْر هذه الظلمة وأنها عند قرن الشمس، فتجهز ذو

---

١ يروى عن سليمان الأشج صاحب كعب الأحبار عن كعب.

٢ رواه السهيلي في التعريف نقلا عن الإصابة ١:٤٣٠

٣ روي عن خيثمة بن سليمان من طريق جعفر الصادق عن أبيه نقلا عن الإصابة في تميز الصحابة ١:٤٣٠، ويكرره محي الدين بن عربي في فتوحاته المكية ٣:٣٣٦

القرنين وسار اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة، فإذا هي ليست بليل وهي تفور مثل الدخان فجمع العساكر وقال إني أريد أن أسلكها فمنعوه، فسأله العلماء الذين معه أن يكف عن ذلك لئلا يسخط الله عليهم، فأبى فانتخب من عسكره ستة الآف رجلٍ على ستة الآف فرسٍ أنثى بكر، وعقد للخضر على مقدمته فى أَلْفَيْ رجل، فسار الخضر بين يديه وقد عرف ما يطلب، وكان ذو القرنين يكتمه ذلك، فبينما هو يسير إذ عارضه وادٍ فظن أن العين في ذلك الوادي، فلما أتى شفير الوادي استوقفه أصحابه، وتوجه فإذا هو على حافة عين من ماء فنزع ثيابه، فإذا ماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد، فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج فلبس ثيابه وتوجه ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة".[1]

■ مناقشة أسطورة عين الحياة

لا شك أن هذه الأسطورة لا يقبلها العقل والفطرة السليمة وهي من جنس حكايات العجائز عن الغول والشاطر حسن كما أنها تتضمن مخالفات عديدة نوجزها فيما يلي:-

١- أن حديثا يدور في السماء بين الملائكة عن ظلمة في الأرض - فيها بئر - لم يطؤها إنس ولا جان.

٢- الملائكة مشغولة بعين الحياة وتظن أنها في الظلمة.

٣- أن لآدم وصيةً مكتوبة قرأها أحد علماء ذي القرنين.

٤- تحديد وصية آدم للظلمة وأنها عند قرن الشمس، وبرغم تقدمنا التقني إلا أننا ما زلنا لا نجد في الأرض ظلمة ليست بليل وتفور مثل الدخان.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني أن الروايات التي تزعم أن الخضر شرب من عين الحياة كلها من الإسرائيليات التي يرويها وهب بن منبه وغيره، كما ضَعَّف في كتابه الإصابة كل هذه الروايات وقال: هي ضعيفة جدا.

---

١ رواه ابن عساكر في ترجمة ذي القرنين من طريق خيثمة بن سليمان حدثنا أبو عبيدة بن أخي هناد حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي قال حدثنا معتمر بن سليمان عن أبي جعفر عن أبيه، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ١٠٧:٢، وقد أورد الذهبي **سفيان بن وكيع بن الجراح** في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٢٤٨٩ وقال: ضُعف، وقال أبو زرعة: "كان يتهم بالكذب"، وقيل كان صدوقا ابتلي بوراقه (وهو من يكتب له الحديث) أفسد حديثه وأدخل عليه ما ليس عنده، فكلم في ذلك فلم يرجع راجع الميزان ١٧٣:٢ ترجمة رقم ٣٣٣٤

■ لقاءات الخضر وإلياس عليهما السلام

يحدثنا القرآن الكريم عن إلياس في آيات مباركات منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ، أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ، فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ، إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ، سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.[١]

تقرر هذه الآيات نبوة إلياس عليه السلام وتصفه أنه من المخلصين والمحسنين ومن عباد الله المؤمنين، برغم أن القرآن لم يميزه على غيره من الرسل، إلا أن الأساطير والإسرائيليات التي روجت لحياة الخضر امتدت إلى إلياس عليهما السلام وجمعت بينهما بل وجعلت منهما شقيقين.

يروي ابن عساكر بسنده إلى السدي " أن الخضر وإلياس أخوان، وكان أبوهما ملكا، فقال إلياس لأبيه إن أخي الخضر لا رغبة له في الملك فلو أنك زوجته لعل يجيء منه ولد يكون المُلك له، فزوجه أبوه بامرأة حسناء بكر، فقال لها الخضر: إنه لا حاجة لي في النساء فإن شئت أطلقت سراحك، وإن شئت أقمت معي تعبدين الله ﷻ وتكتمين علي سري، فقالت: نعم، وأقامت معه سنة، فلما مضت السنة دعاها الملك فقال: إنك شابة وابني شاب فأين الولد؟ فقالت: إنما الولد من عند الله، إن شاء كان وإن شاء لم يكن، فأمره أبوه فطلقها، وزوجه بأخرى ثيبا قد ولد لها، فلما زفت إليه قال لها كما قال للتي قبلها، فأجابت إلى الإقامة عنده، فلما مضت السنة سألها الملك عن الولد، فقالت: إن ابنك لا حاجة له بالنساء، فَتَطلبه أبوه فهرب، فأرسل وراءه فلم يقدروا عليه.

فيقال إنه قتل المرأة الثانية لكونها أفشت سره، فهرب من أجل ذلك، وأطلق سراح الأخرى فأقامت تعبد الله في بعض نواحي تلك المدينة، فمر بها رجل يوما فسمعته يقول بسم الله، فقالت له: أنى لك هذا الاسم، فقال: إني من أصحاب الخضر فتزوجته فولدت له أولادا، ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون، فبينما هي يوما تمشطها إذ وقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي، فقالت: لا بل ربي وربك ورب أبيك الله، فأعلمت أباها فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها فألقيت فيه، فلما عاينت

---

١ سورة الصافات من الآية ١٢٣ إلى الآية ١٣٢

ذلك تقاعست أن تقع فيها فقال لها ابن معها صغير: يا أمه اصبري فإنك على الحق، فألقت نفسها في النار، فماتت رحمها الله".[1]

هذه قصة واهية مفككة ملفقة تماما، فهي تنسب الكيد والدسيسة لإلياس حيث طلب من أبيه أن يزوج أخاه الخضر ولا رغبة له في الزواج، وتنسب الكذب والقتل والهرب للخضر، وتنسب الجبروت والظلم لأبيه، والقصة تطفح منها الدعوة إلى الرهبانية والعزوف عن النساء، كما تزعم القصة أن الملك "أبا الخضر" أطلق سراح زوجة ابنه الأخرى، فأقامت في بعض نواحي المدينة، فتزوجها رجل وصارت ماشطة بنت فرعون، ولا نعرف كيف تحول الملك إلى فرعون، وما دَخْل الخضر وإلياس بابنة فرعون وماشطتها، ومن العجيب أن يروي الثعلبي هذه القصة متداخلة مع قصة الإسراء والمعراج، ونترك نقلها خشية الملل.

■ لقاءات مزعومة بين الخضر وإلياس

١- تحدد أولى هذه الروايات مواعيد اللقاءات الدورية بين الخضر وإلياس عليهما السلام، وفيما يرويه ابن عساكر من أخبار هذه الصحبة العجيبة أن: "إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويحجان في كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل (أي العام القادم)".[2]

درجة الحديث: وهذا إسناد معضل وفي رواته كذاب.

٢- تضيف رواية ثانية أن "الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام".[3]

درجة الحديث: هذا إسناد ضعيف وفي رواته كذاب يروي أحاديث منكرة، وكان

---

١ رواه ابن عساكر عن السدي ٥:١٥١، والألوسي في روح المعاني ٥:٣١٩، وابن كثير في البداية ١:٣٠٨

٢ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥:١٥٦ من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيي الخشني عن عبدالعزيز بن أبي رواد ميمون، ويعلق بقوله: ابن أبي رواد كذاب، وذكره الإمام البخاري في كتابه الضعفاء الصغير ٢٢٢، ورواه عبدالله بن أحمد في زوائده على الزهد وهو حديث معضل.

٣ رواه ابن عساكر من طريق علي بن الحسين بن ثابت الدوري عن هشام بن خالد عن الحسن بن يحيي الخشني، وقال: "عبدالعزيز بن أبي رواد كذاب ٥:١٥٦"، وذكره الحافظ الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٣٧٣٤، وقال ابن الجنيد: كان ضعيفا وأحاديثه منكرات، وقال الجوزجاني: كان غاليا في الإرجاء، تهذيب التهذيب ٦: ٣٠٢ ترجمة رقم ٦٥٣

غاليا في الإرجاء.

٣- وتحدد رواية ثالثة ما يفطران عليه معا فتقول "يجتمع الخضر وإلياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله إلى آخره، ويفطران على الكرفس ويوافيان الموسم كل عام".[١]

درجة الحديث: وهذا الإسناد معضل وفي رواته كذاب.

٤- وفي رواية أخرى[٢] "أن الخضر في البحر واليسع في البر يجتمعان كل يوم عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل".

درجة الحديث: وهذا حديث واه وقيل موضوع، وقالوا إسناده ضعيف جدا، وفي رواته متروكان.

٥- ويروي الثعلبي: "الخضر من ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل، يلتقيان في كل عام في الموسم".[٣] وروى أيضا عن عمرو بن دينار قوله: "إن الخضر وإلياس لا يزالان حيين في

---

١ رواه عبدالله بن أحمد في زيادات الزهد عن مهدي بن جعفر عن ضمرة عن السري بن يحيى عن **عبدالعزيز بن أبي رواد**، قال ابن حبان: لايحتج بعبدالعزيز، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: هو حديث معضل (٢٧)

٢ قال الحارث بن أبي أسامة في مسنده حدثنا **عبدالرحيم بن واقد** حدثني محمد بن بهرام حدثنا أبان عن أنس، يعقب ابن حجر بقوله: عبدالرحيم وأبان متروكان وإسناده ضعيف جدا، وربما كان من الموضوعات على أنس فإن أبان كان يسمع كلام الحسن فيرفعه عن أنس إلى النبي ﷺ الإصابه ١:٤٣٦ **وأبان هو بن أبي عياش**، قال عنه أحمد: متروك الحديث. وقال يحيى: متروك، وقال مرة ضعيف. وذكره البخاري في الضعفاء الصغير ٣٢، وأورده السخاوي في المقاصد وقال عنه واه، واعتقاد هؤلاء أن الخضر في البحر ربما استفادوه من قوله تعالى في سورة الكهف "حتى أبلغ مجمع البحرين".

٣ رواه الثعلبي في العرائس ٢٢٤: عن **محمد بن المتوكل** عن ضمرة بن عبيدالله بن سوار، ومحمد بن المتوكل هو ابن أبي السري العسقلاني من الطبقة العاشرة، ذكره المغني في الضعفاء ٥٩٣٨، وقال صدوق، وقال أبو حاتم: لين، وهو صدوق عارف له أوهام كثيرة.

الأرض مادام القرآن فيها، فإذا رُفِع القرآن ماتا".[1]

درجة الحـديث: أورد العلامة السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة قصة اجتماع الخضر وإلياس عليهما السلام وعلق عليها بقوله "إلى غير ذلك مما هو ضعيف كله: مرفوعه وغيره، ولا يثبت منه شيء".[2]

■ أين يقيم الخضر وإلياس الآن؟

يا ترى أين يقيم حاليا الخضر وإلياس في ظن من يؤمنون بحياتهم ؟ هذا ما يخبر به هذا الحديث الموضوع عن رسول الله ﷺ قال: "يجتمع البري والبحري إلياس والخضر كل عام بمكة"، ويروى عن الحسن البصري أنه قال: "وُكِّلَ إلياس بالفيافي، والخضر بالبحور، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى، وإنهما يجتمعان في موسم كل عام".[3]

وفي رواية عن كعب الأحبار: "أن الخضر على منبر من نور في البحر". ويروى عن ابن عباس تفصيلات أكثر عن هذا اللقاء جاء فيها: "يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله

---

١ رواه الثعلبي في العرائس ٢٢٤، عن أبي بكر أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي وأخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال:، **وأحمد بن محمد بن يعقوب هو أبو بكر الفارسي الوراق الكاغدي**، قال ابن أبي الفوارس: ضعيف جدا فيما يدعي عن ابن منيع، وكان ردئ المذهب أيضا. الذهبي في الميزان ١:١٥٣ ترجمة رقم ٦٠٦

٢ المقاصد الحسنة للسخاوي في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة حديث رقم ٢٧ صفحة ٦٢

٣ السخاوي في المقاصد الحسنة حديث ٢٧ وعلق بقوله وهو ضعيف كله، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق **أحمد بن عمار** عن محمد بن مهدي بن هلال عن ابن جريج ثم قال: "وابن عمار متروك عند الدارقطني ومهدي بن هلال مثله"، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة رقم ٤٧، والذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٣٨٧، وفي الميزان ترجمة رقم ٤٩٧

وقال ابن حبان: "**مهدي بن هلال** يروي الموضوعات". وذكره البخاري في الضعفاء الصغير ٣٦٣ وقال: "قال يحي بن سعيد: مهدي غير ثقة"، وكذبه ابن معين وقال: "عنه صاحب بدعة"، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة ٦٤٢٦، وقال تركوه، وكذبه بعضهم.

ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله"،[1] وقال ابن عباس "من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الغرق والحرق والسرق، قال: ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب".[2]

درجة الحديث: واه شديد الوهن، منكر من وجهيه، ذكره العلماء في الموضوعات.

وتعليقنا على هذه الغرائب أنها تضم متناقضات عجيبة: إذ كيف يعيش الخضر في البحر، وإلياس في البر ثم يجتمعان يوميا عند الردم كما ورد في الروايات السابقة، وما هو دورهما وأهمية وجودهما يوميا عند الردم؟! ومع هذا يتركانه طوال شهر رمضان ويعتكفان في بيت المقدس، ولا نعرف إن كانا لا يزالان يعتكفان فيه بعد احتلاله ومحاولات حرقه من الصهاينة، أم تراهم انتقلوا إلى مسجد آخر! ثم ما حكمة اعتكافهما في بيت المقدس دون بيت الله الحرام؟ ولا زلنا لا نفهم سر الكرفس الذي لا يفطران إلا عليه؟ وسر مخالفتهم لسنة رسول الله ﷺ في كل شيء حتى في الإفطار. !

وبرغم كثرة قصص عين الحياة وحكايات دفن آدم عليه السلام التي يروج لها من تستهويه غرائب الأمور إلا أننا لم نجد رواية واحدة تشرح لنا سبب تعمير إلياس عليه السلام، وفي نفس الوقت يربط هؤلاء بين الخضر وإلياس حتى أنهما لا يكادان يفترقان.

---

١ هذا الدعاء يردده الصوفية في كثير من أورادهم، ويقول مشايخ الصوفية للمريدين قصة لقاء الخضر وموسى عليهما السلام وافتراقهما على هذا الدعاء، من هذه الطرق: الطريقة الخلوتية العونية العيونية.

٢ الخبر مذكور في جزء المزكي شيخ الشافعي، وهو حديث لا يصح، وفي إسناده الحسن بن رزين ليس بشيء، كما أخرجه الدارقطني في الأفراد: ثنا محمد بن إسحق بن خزيمة ثنا محمد ين أحمد بن زيد ثنا عمرو بن عاصم ثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس لا أعلمه إلا مرفوعا. قال الدارقطني: لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن بن رزين. قال أبو جعفر العقيلي في الضعفاء الكبير ١:٢٢٤ لم يتابع عليه مسندا ولا موقوفا وهو مجهول في النقل وحديثه غير محفوظ، قال الحافظ ابن المنادي: هو حديث واه بالحسن بن رزين. وترجم الذهبي في الميزان الحسن بن رزين عن ابن جريج: ليس بشيء وهو منكر والحسن فيه جهالة ١:٤٩٠، أورده ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى ١:١٩٥، وروى ابن عساكر نحوه من طريق علي بن الحسن الجهضمي وهو كذاب عن ضمرة بن حبيب المقدسي عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيري، عن عبدالله بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعا، قال يجتمع كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر وذكر حديثا موضوعا فيه عدة مجاهيل لايعرفون تركنا إيراده قصدا، يعلق السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة ٦٢ عن طرق هذا الحديث عن مهدي بن هلال، وعن ابن جريج بقوله: "وهو منكر من الوجهين، وثانيهما أشد وهاء"، ومهدي كان يضع الأحاديث. وأورده الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة ١:٢٣٥

■ مناقشة لقاءات الخضر وإلياس

ولا يفوتنا قبل أن ننتقل إلى موضوع آخر أن نعلق على هذه اللقاءات المزعومة بين العبد الصالح الخضر ونبي الله إلياس عليهما السلام:-

١- كيف لا يحتمل موسى صحبة الخضر عليهما السلام ويفارقه بعد ثلاث وقائع، ويستمر إلياس عليه السلام في صحبة دائمة للخضر وإلى أن تقوم الساعة، ومع هذا لا يشير القرآن إلى هذه الخصوصية، فاحتمال إلياس عليه السلام أولى بالذكر من فراق الخضر لموسى عليهما السلام بعد ثلاث وقائع فقط.

٢- إلياس عليه السلام نبي مرسل بنص القرآن فهل تقولون بنبوة الخضر؟

٣- ما هي مهمة إلياس الآن؟ هل هو نبي أم ولي؟ ومن يقول بولايته فعليه أن يجيب على تساؤلنا وكيف تحول إلياس عليه السلام من النبوة إلى علم الباطن، وصار كالخضر؟

٤- ثم إذا رُفعت النبوة عنه فأين الدليل؟ فإذا انعدم الدليل فهل ما زال نبيا إلى الآن؟

٥- هل ما زال إلياس عليه السلام يبلغ شريعته إلى الناس حتى الآن؟ أم تراه اتبع خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه؟

٦- إذا أجاب الباطني أن إلياس عليه السلام مازال يبلغ رسالته فقد اقترف إثما كبيرا، وأوقعه جهله في مأزق عظيم، حيث أنكر ختام النبوة والرسالة بنبينا محمد ﷺ وهذا كفر يحتاج إلى الاستتابة والرجوع إلى الإسلام من جديد، أما إذا أجاب بقوله: لقد ترك إلياس رسالته واتبع سيدنا محمد ﷺ طالبناه بالدليل الصحيح على ذلك، ثم كيف شغل الباطنيون أنفسهم بلقاء الخضر ومحمد ﷺ ولم يرد خبر واحد ضعيف أو حتى موضوع عن محاولة لقاء مماثل بين إلياس ومحمد ﷺ

٧- أين لقاءات إلياس عليه السلام بالصحابة والصوفية؟ أم تراه ترك ذلك للخضر عليه السلام وحده، ثم كيف يترك البري (إلياس) لقاءات الناس إلى البحري (الخضر)، ألم يكن من الأيسر أن يتبادل الخضر وإلياس عليهما السلام أماكنهما في هذه القصص.

ثالثا: حياة الخضر بعد بعثة النبي ﷺ

ينتشر فـي كتب الباطنية عامة والصوفية خاصة روايات وحكايات عن اجتماع المشايخ والأقطاب بالخضر عليه السلام، ومن أكثر الصوفية تحمسا لهذه القصة ابن عربي واليافعي والدباغ والسرهندي والشعراني الذي وضع كتابا مخصوصا يروي فيه حكاياته عن حياة الخضر إلى زمانه، وقد سمى هذا الكتاب "الميزان الخضرية"، ذكر فيه أسماء المشايخ الذين التقوا بالخضر، وسنورد بعض هذه الروايات في حينها، بل إننا سنتتبع بتوفيق الله تعالى كل ما يتناول حياة الخضر عليه السلام منذ بعثة النبي ﷺ إلى اليوم، وأيضا ما ورد حول لقاءات للخضر قبل يوم القيامة، ونقسم هذه الفترة الزمنية إلى المراحل الآتية:-

١- الخضر وخاتم النبيين
٢- الخضر والصحابة
٣- الخضر والتابعون
٤- الخضر والإسرائيليات
٥- الخضر والدجال

وسنعرض أشهر الروايات المتناثرة هنا وهناك بين طيات الكتب المعتمدة عند الفرق الباطنية والتي تعتبر أهم مصادر هذا الفكر الباطني، ونناقش طرق روايتها وأسانيدها وفق منهج المحدثين، أما الأقوال التي لا يعرف قائلها ولا ترقى إلى مستوى النقد العلمي، فإنا نوردها ثم نزن هذه الأقوال بميزان كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ ونسوق أقوال علماء الأمة وتقييمهم لتلك الروايات.

١- الخضر وخاتم النبيين.

يعتقد الصوفية والباطنية حياة الخضر إلى الآن، وقد يأمر بعضهم أتباعه أن يردوا السلام على الخضر كلما ورد اسمه في مجالسهم، ومنهم من يعتقد مروره في المجالس التي يذكر فيها ويلقي السلام على الموجودين فيسمعه الأولياء فقط، ويعتمد هؤلاء على روايات واهية عن لقاء مزعوم بين رسول الله والخضر عليهما السلام نوردها فيما يلي:

الرواية الأولى: حديث عمرو بن عوف المزني.[١]

يزوى عن عمرو بن عوف أنه قال "كان رسول الله في المسجد فسمع كلاما من ورائه

---

١ أخرجه الحافظ وابن عدي والبيهقي في الدلائل وقال إسناده ضعيف ذكره ابن الجوزي في الموضوعات بسنده إلى عبدالله بن نافع عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده، ثم قال هذا حديث باطل فيه **عبدالله بن نافع** قال عنه علماء الحديث ما يلي:-

قال يحي بن معين: "ضعيف الحديث حديثه ليس بشيء".

قال علي بن المديني: "يروي أحاديث منكرة".

قال النسائي والدارقطني: "هو متروك الحديث".

قال الكناني: "متروك".

وفيه كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني

قال عنه ابن حنبل: "لايُحَدَّثُ عنه وقال أيضا: منكر الحديث ليس بشيء".

قال الشافعي: "هو ركن من أركان الكذب".

وذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين وقال: متروك الحديث ترجمة رقم ٥٠٤،

قال أبو زرعة: "واهي الحديث ليس بقوي".

وكذبه ابن حبان، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة رقم ٤٤٦

قال أبو داود: "كذاب"، وقال أبو حاتم: "ليس بالمتين".

وقال ابن عدي: "عامة ما يرويه لا يتابع عليه".

ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ١٥٥٥ قال أبو حاتم وابن حبان روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل، ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب، ذكره الكناني في تنزيه الشريعة ١٣٣:١ وقال فيه كثير بن عبدالله، حفيد عمرو راوي الحديث وله نسخة موضوعة عن أبيه عن جده، وفيه أيضا عبدالله بن نافع متروك. وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء وقال: عن أبيه، متروك.

فإذا هو بقائل يقول: اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني.
فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك: ألا تضم إليها أختها؟.
فقال الرجل: اللهم ارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه.
فقال رسول الله لأنس بن مالك وكان معه: اذهب يا أنس إليه فقل له: يقول لك رسول الله استغفر لي، فجاء أنس فبلغه.
فقال له الرجل: يا أنس أنت رسول رسول الله ﷺ إلي؟
فقال: كما أنت، فرجع فاستثبت، فقال ﷺ قل له: نعم.
فقال له: اذهب فقل لرسول الله ﷺ إن الله فضلك على الأنبياء مثل ما فضل به رمضان على الشهور، وفضل أمتك على الأمم، مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام، فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر.

درجة الحديث: حديث باطل إسناده ضعيف وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في عجالة المنتظر: "هذا حديث باطل لا أصل له، ومن أقبح الموضوعات أن يكون الخضر قريبا من النبي ﷺ ولا يكلمه، وقال أبو الحسين بن المنادي: هو حديث معلول بالوضاح وغيره"،[1] وفي رواته متروك والآخر ركن من أركان الكذب.

الرواية الثانية: حديث أنس بن مالك.[2]

يروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "خرجت مع النبي في بعض الليالي أحمل له الطهور، إذ سمع مناديا فقال: يا أنس صه، وفي رواية أخرى أن الخضر جاء ليلة فسمع النبي ﷺ وهو يدعو ويقول: اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني.
قال رسول الله ﷺ: لو قال أختها معها، فكأن الرجل لُقِّن ما أراد النبي ﷺ.
فقال: وارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه. فقال النبي ﷺ: يا أنس ضع الطهور وائت هذا المنادي فقل له ادع لرسول الله ﷺ أن يعينه على ما ابتعثه به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحق. قال فأتيته فقلت له: رحمك الله ادع لرسول الله ﷺ أن يعينه على ما ابتعثه به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحق، فقال: من أرسلك؟،

---

١ تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥٤:٥

٢ ابن القيم في المنار المنيف ١٢٩ ، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١٦٤:١ ، والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة حديث ٧١ ص ٤٩٥

فكرهت أن أخبره ولم أستأمر رسول الله ﷺ. فقلت: رحمك الله وما يضيرك من أرسلني ادع بما قلت لك، فقال: لا أو تخبرني بمن أرسلك، قال فرجعت إلي رسول الله، فقلت يا رسول الله: أبى أن يدعو بما قلت له حتى أخبره بمن أرسلني. فقال: ارجع إليه فقل له أنا رسول رسول الله، فرجعت إليه فقلت له

فقال: مرحبا برسول الله ورسوله أنا كنت أحق أن آتيه، اقرأ على رسول الله مني السلام وقل له: يا رسول الله الخضر يقرأ عليك السلام ورحمة الله ويقول لك يا رسول الله إن الله فضلك على الأنبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل أمتك على الأمم كما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام. قال فلما وليت سمعته يقول: اللهم اجعلني من هذه الأمة المرحومة المتاب عليها.[1]

درجة الحديث: يحدد المحدثون درجة هذا الحديث بقولهم:

١- يقول الحسين بن المنادي: "إن أهل الحديث متفقون على أن هذا الحديث منكر الإسناد، سقيم المتن، يتبين فيه أثر الصنعة".

---

١ روى ابن شاهين والدارقطني في الأفراد من طريق **محمد بن عبدالله الأنصاري وهو أبو سلمة،** "وهو واهي الحديث جدا"، وليس هو شيخ البخاري قاضي البصرة ذاك ثقة، وهو أقدم من أبي سلمة، يقول الكناني: "أبو سلمة متهم بالوضع والكذب"، ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ١٦٥١ وقال: "منكر الحديث"، وفي المجروحين قال: "منكر الحديث جدا، يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، ولا يجوز الاحتجاج به بحال"، وقال عنه ابن حبان: منكر الحديث (جدا)، وقال محمد بن طاهر: هو كذاب، وله طامات، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٥٦٨٢

ورواه ابن المنادي والطبراني في الأوسط، وابن عساكر في تاريخه من طريق محمد بن سلام المنبجي عن وضاح بن عباد الكوفي عن عاصم بن سليمان الأحول عن أنس بن مالك. وفي طريق ابن عساكر أبو داود، والظاهر أنه **النخعي سليمان بن عمرو** الكذاب الوضاع، ذكره البخاري في الضعفاء الصغير ترجمة رقم ١٤٤ وقال: سمعت قتيبة يقول عنه: "معروف بالكذب"، وقال عنه أحمد بن حنبل: "كان يضع الحديث"، وعن يحيى قال: "كان أكذب الناس"، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء رقم ٢٦١٠ وقال: وكان يكذب"، وقال النسائي في الضعفاء والمتروكين: أبو داود متروك الحديث، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة ٢٥٦، **ووضاح بن عباد** ذكره الذهبي في المغني في الضعفاء وقال: تكلم فيه أحمد بن المنادي، ترجمة رقم ٦٨٣٩

٢- يعلق ابن كثير في تاريخه بقوله: "الحديث مكذوب، ولا يصح سندا ولا متنا، كيف يتمثل بين يدي رسول الله ﷺ ولا يجيء بنفسه مسلما ومتعلما".

٣- قال ابن الجوزي في عجالة المنتظر: "هذا حديث باطل لا أصل له، ومن أقبح الموضوعات أن يكون الخضر قريبا من النبي ﷺ ولا يكلمه".

٤- يقول ابن القيم في المنار المنيف: "الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح منها حديث واحد".[١]

٥- حكم عليه السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة بالوضع.

٦- ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.

كما أخرجه الحافظ ابن الجوزي بمعناه عن ابن عمر، وقال هذا حديث محال ورواته وضاعون، وأخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة بروايات متعددة، وطعن فيها وزيفها جميعها، وحكم عليها بالوضع، وكذلك حكم بوضعه ابن دحية".[٢]

ولا شك أن أقوال هؤلاء العلماء تقطع باختلاق قصة اللقاء المزعوم.

---

١ المنار المنيف لابن قيم الجوزية ١٢٨

٢ تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ١٥٥:٥

عزاء الخضر في وفاة النبي

وردت عدة روايات تحكي كيف جاء الخضر عليه السلام - مرة بلحمه وشحمه ومرة أخرى يسمع الناس صوته ولا يرونه - لما علم وفاة رسول الله ﷺ ليقدم العزاء لآل بيت رسول الله ﷺ نورد هذه الروايات فيما يلي:

الرواية الأولى: رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه

روى ابن أبي الدنيا والبيهقي والطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه أنه قال:[1] "أنه لما قُبِضَ رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل أشعر طويل المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى ثم أقبل على أصحابه، فقال: "إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فإلى الله فأنيبوا وبنظره إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يحز الثواب، ثم ذهب الرجل، فقال أبو بكر: عليَّ بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا، فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه ﷺ.

درجة الحديث: وهذا حديث ضعيف جدا، وقيل واهٍ ومنكر بِمَـرَّة (أي جدًا) ومن

---

١ رواه ابن أبي الدنيا قال حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبدالصمد عن أنس بن مالك، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط عن موسى بن أبي هارون عن كامل. ورواه البيهقي عن أبي عبدالله الحافظ عن أبي بكر بن بالويه عن محمد بن بشر بن مطر عن كامل بن طلحة، وقد اجتمعت هذه الأسانيد الثلاثة في طريق واحد عن كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبدالصمد عن أنس، وقال أبو حاتم وغيره عن **كامل بن طلحة الجحدري** "لا بأس به"، وقال أبو داود: "رميت بكتبه"، وقال يحي بن معين: "ليس بشيء".

أما **عبّاد بن عبدالصمد أبو معمر** يعقب البيهقي عليه بقوله: "وعباد بن عبدالصمد ضعيف، والحديث منكر بمره"، "وَوَهَّاهُ" ابن حبان (أي ضَعَّفه)، وروى له العقيلي حديثا وعلق عليه بقوله فذكر حديثا طويلا يشبه وضع القصاص، ويصف البخاري عبّاد بقوله: "منكر الحديث".

وقال أبو حاتم: "ضعيف الحديث جدا منكره"، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء رقم ٣٠٤٣ وقال قال أبو حاتم وغيره: "ضعيف جدا"، وترجم له في الميزان برقم ٤١٢٨ وقال: بصري وَاهٍ، وقال ابن عدي: "عامة ما يرويه في فضائل علي، وهو ضعيف غال في التشيع".

رجاله من ليس بشيء، ومنكر الحديث وغال في التشيع.

الرواية الثانية خبر مرسل عن علي بن الحسين رضي الله عنهما

يروى عن علي بن الحسين أنه قال "لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلا يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله ثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب".[1]

درجة الحديث: موضوع وفي رواته وضاعون، وهو مرسل لا يعتمد عليه.

الرواية الثالثة خبر مرسل عن جعفر الصادق رضي الله عنهما

روى ابن أبي حاتم نفس الخبر السابق قال "لما توفي رسول الله ﷺ جاءهم آت - يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، قال جعفر بن محمد (الصادق)، أخبرني أبي:

---

١ رواه الشافعي في مسنده قال أخبرنا القاسم بن عبدالله بن عمر عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده علي بن الحسين قال: لما توفي... الخبر، ويعقب الشافعي قائلا: "والقاسم العمري متروك، وهذا الحديث مرسل ومثله لا يعتمد عليه هنا والله أعلم".

والقاسم بن عبدالله بن عمر متروك، رماه أحمد بالكذب، وقال: كان يضع الحديث، ترك الناس حديثه، وقال عنه يحيى بن معين: ضعيف ليس بشيء، وقال أبو حاتم وسعيد بن أبي مريم والنسائي: متروك الحديث، وقال أبو زرعة: ضعيف لا يساوي شيئا متروك الحديث، منكر الحديث، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ترجمة ٤٣٩، وقال ضعيف كثير الخطأ، وقال علي بن المديني: ليس بشيء، وقال يعقوب بن سفيان: متروك مهجور، وقال العجلي والأزدي: متروك الحديث، تهذيب التهذيب ٥٨٠ - ٢٨٧:٨، وذكره الحافظ الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٤٩٩٢ .

ويقول ابن الجوزي: "هذا حديث مُحال ورواته وضاعون".

وأخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة بروايات متعددة، وطعن فيها وزيفها جميعا وحكم عليها بالوضع. كذلك حكم بوضعه ابن دحية راجع تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥٥:٥

أن علي بن أبي طالب قال: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام.[1]

درجة الحديث: موضوع.

مناقشة مضمون هذه الروايات

رغم ضعف هذه الروايات التي قرر العلماء أنها موضوعة مكذوبة، إلا أننا سنتأملها قليلا لنعرف ما ترمى إليه، نجد أن مضمونها يناقض ما سبقها من روايات، فمن الغريب حقا أن يمنع الخضر نفسه من شرف لقاء رسول الله ﷺ وقد أصبح على بعد خطوات منه وفق ما جاء في رواية أنس وعمرو بن عوف، ثم يسعى لتقديم العزاء إلى آل بيت النبي ﷺ وياليته اكتفى بالعزاء فقط بل دخل البيت ووقف على بابه لعله يلقي نظرة وداع على النبي بعد وفاته ﷺ.

١ أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة بروايات متعددة، وطعن فيها وزيفها جميعا وحكم عليها بالوضع. كذلك حكم بوضعه ابن دحية راجع تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥٥:٥، واستشهد بهذا الحبر الشيخ عبدالرحمن حسن محمود محقق كتاب الميزان الخضرية للشعراني

٢- الخضر والصحابة

أشارت الروايات إلى لقائين بين الخضر والصحابة أولهما بين الخضر وعمر بن الخطاب وثانيهما مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

* الخضر والفاروق عمر

ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال ﴿خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن ﴾،[١] هذا الحديث الشريف لم يكن خافيا على من قال بحياة الخضر عليه السلام من لدن آدم إلى يوم القيامة وهو يسبب لمن يزعمون لقاءه كثيرا من الحرج فهل رأوه عملاقا أم فى حجمهم، ويروي ابن عساكر قال:[٢] بينما عمر بن الخطاب يصلي على جنازة إذا بهاتف يهتف من خلفه لا تسبقنا بالصلاة يرحمك الله، فانتظره حتى لحق بالصف الأول، فكبر عمر وكبر الناس معه، فقال الهاتف: إن تعذبه فكثيرا عصاك، وإن تغفر له ففقير إلى رحمتك، فنظر عمر وأصحابه إلى الرجل، فلما دُفِنَ الميت وسوى به التراب، قال: طوبى لك ياصاحب القبر لم تكن عريفا ولا جابيا أو خازنا أو كاتبا أو شرطيا، فقال عمر: خذوا لي الرجل نسأله عن صلاته، وكلامه هذا عمن هو؟ فتوارى عنهم، فنظروا فإذا أثر قدميه ذراع.!

---

١ متفق عليه أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء حديث ٣٠٧٩، ومسلم كتاب الجنة حديث ٢٨٤١، وأحمد بن حنبل في مسنده ٢:٣١٥

٢ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥:١٥٥ عن عبدالله بن وهب عمن حدثه عن **محمد بن عجلان** عن محمد بن المنكدر.. وقال: "هذا حديث مقطوع (أي معضل في علم مصطلح الحديث)، وفي إسناده ابن عجلان والراوي عنه لا يعرف، فهو (أي الحديث) شبه لاشيء". والحديث المعضل هو ما سقط من إسناده أكثر من راوي، وهنا مجهول من حدث عبدالله بن وهب، وفي نفس الوقت هناك سقط بين محمد بن المنكدر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

رواه ابن شاهين في كتاب الجنائز قال: حدثنا ابن أبي داود حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا عبدالله بن وهب (هو ابن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري) بنفس الإسناد السابق.

وقال ابن الجوزي: "فيه مجهول وانقطاع بين ابن المنكدر وعمر بن الخطاب"،راجع الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١:٤٤١ ويعلق ابن كثير في البداية والنهاية بقوله: "هذا الأثر فيه مبهم وفيه انقطاع ولا يصح ١:٣١٠".

فقال عمر: هذا والله الذي حدثنا عنه النبي ﷺ يقول الألوسي والاستدلال بهذا مبني على أنه عني بالمتحدث عنه الخضر.[1]

درجة الحديث: مُعْضَل وفي رواته مجهول وانقطاع، ولا يصح وشِبْه لا شيء.

بالإضافة إلى قول ابن عساكر أن هذا الأثر شِبْه لا شيء، نقول إن القصة كلها تناقضات ففي أولها سمعوا صوتا يطلب تأخير الصلاة حتى لحق بالصف الأول، ولما صلى معهم لم يشعر أحد باختلاف هيئته عنهم، ثم بعد الصلاة ينظر عمر والناس معه إلى الرجل دون أي دهشة أو تعجب من ضخامة جسمه، ثم سمعوه يتحدث حديثا لفت أنظار الفاروق إليه، فطلبه عمر فتوارى عنهم، فإذا أثر قدمه ذراع، أي أربع أضعاف طول أقدامهم، ولا نعرف هل ترمي القصة إلى أن الخضر يتشكل فمرة يصلي معهم بحجمهم ثم يختفي تاركا لهم أثرا عملاقا، أم أن عملاقا صلى معهم ونظروا إليه وسمعوه دون أن يدركوا حجمه، وبالتالي كان لابد من أثر قدمه، ثم هناك جرأة في الكذب على عمر بن الخطاب حيث يقسم بالله مؤكدا نسبة الرجل إلى حديثٍ سَمِعَه عمر عن رسول الله ﷺ والعجيب أننا لا نجد إشارة إلى هذا الحديث في سنة رسول الله ﷺ سواء يَرْوِيه عمر أو أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من مصنفي الحديث، وبرغم أن الخبر ليس فيه تصريح بالخضر إلا أن القُصَّاص يروونه ولا يقصدون به إلا هو.

* الخضر وعلي بن أبي طالب

نقل ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى رواية عن علي بن أبي طالب أنه قال: "بينا أنا أطوف بالبيت إذا برجل متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: يامن لا يشغله سمع عن سمع، ويامن لا تغلطه المسائل، ويامن لا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا مسألة السائلين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك، قلت: ياعبدالله أعد الكلام، قال: أو سمعته؟ قلت: نعم، قال: والذي نفس الخضر بيده هؤلاء لايقولهن عبد دبر الصلاة المكتوبة إلا غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل

---

١ يعلق الألوسي في روح المعاني ٥:٣٢٦ قائلا وهذا الخبر لا نسلم بصحته.

رمل علج وعدد المطر وورق الشجر".[1]

درجة الحديث: وصف العلماء درجة هذا الحديث بأنه "موضوع - لا يصح ضعيف ومنقطع وفيه مجهول"، ومتروك ومُنْكَر الحديث.

٣- الخضر والتابعون.

* الخضر وعمر بن عبدالعزيز

يبدو أن اللقاء بينهما لم يكن واحدا فاللقاء الأول: يرويه الدينوري في المجالسة بقوله: قال عمر بن عبدالعزيز:

"رأيت الخضر وهو يمشي مشيا سريعا وهو يقول: صبرا يا نفس صبرا لأيام تنفد، لِتِلْك أيام الأبد، صبرا لأيام قصار، لتلك الأيام الطوال".[2]

---

١ رواه ابن الجوزي بسنده إلى الثوري عن عبدالله بن محرز عن يزيد بن الأصم عن علي بن أبي طالب، وقال: "هذا حديث لا يصح، ومحمد بن الهروي: "مجهول"، وابن محرز "متروك"، قال أحمد بن حنبل: "ترك الناس حديثه"، قال ابن المنادي: "لقيته وكانت بعرة، أحب إلي منه"، قال يحي: "ضعيف، وليس بثقة". قال البخاري: "منكر الحديث"، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ٨٩٢، وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: "ما نصنع بحديثه وهو ضعيف"، وقال أبو حاتم: "منكر الحديث، ترك حديثه ابن المبارك"، وقال أبو زرعة: "ضعيف الحديث"، وقال الدارقطني: "متروك الحديث، وكذا قال النسائي"، وقال مرة: "ليس بثقة ولا يكتب حديثه"، قال ابن كثير: "هذا حديث ضعيف من جهة عبدالله بن محرز فإنه متروك الحديث ويزيد لم يدرك عليا ومثل هذا لا يصح والله أعلم".

قال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن يوسف حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا صالح بن أبي الأسود عن محفوظ بن عبدالله عن شيخ من حضرموت، عن محمد بن يحي قال قال علي بن أبي طالب بنحوه، وهذه رواية عن مجهول، أورده ابن الجوزي وقال: "وهذا إسناد مجهول منقطع وليس فيه، ما يدل على أن الرجل الخضر"، رواه الترمذي عن مالك بن اسماعيل عن صالح بن أبي الأسود عن محفوظ عن عبدالله الحضرمي عن محمد بن يحي وقال: "وهذا حديث منقطع وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم".

وأورده الكناني في تنزيه الشريعة ٢٣٥:١، ورواه ابن عساكر من طريق **الدينوري صاحب المجالسة**، وقد اتهمه الدارقطني بالوضع، قد روي من وجه آخر ضعيف عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه عن جده

٢ الموضوعات الكبرى لأبي الفرج بن الجوزي ١٩٩:١

درجة الأثر: وهذا أثر موضوع.

ويروي اللقاء الثاني يعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه عن رياح بن عَبِيدة قال: "رأيت رجلا يماشي عمر بن عبدالعزيز معتمدا على يده، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جاف، فلما صلى قلت ياأبا حفص من الرجل الذي معك معتمدا على يدك آنفا؟ قال وقد رأيته يا رياح؟ قلت نعم، قال إني لأراك رجلا صالحا، ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي فأعدل".[١]

درجة الأثر: الحديث ضعيف في رواته مجروحين.

* الخضر وعبدالملك بن مروان

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق: "أن عبدالملك بن مروان أحب أن يتعبد ليلة في المسجد فأمر القَوَمة أن يخلوه له ففعلوا فلما كان من الليل جاء من باب الساعات فدخل الجامع فإذا رجل قائم يصلي بينه وبين باب الخضراء، فقال للقومة: ألم آمركم أن تخلوه، فقالوا: ياأمير المؤمنين هذا الخضر يجيء كل ليلة يصلي ههنا".[٢]

وتعليقنا أن هذه القصة مبتورة ولو كانت صحيحة للزمها تتمة، تشرح لنا ماذا فعل عبدالملك بن مروان حينما جمعته هذه الرواية فجأة مع الخضر عليه السلام، فلابد أن تكون زيارة الخضر لها سبب وثمرة، ثم كيف يعرف قوام المسجد أن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام؟ هل أخبرهم عن نفسه أم هم اكتشفوا أمره، وكيف كان ذلك؟ وكيف أخفوا خبرا

---

١ رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه قال حدثنا محمد بن عبدالعزيز الرملي حدثنا ضمرة هو ابن ربيعة عن السري بن يحيي عن رياح بن عَبِيدة .. وقال: **الرملي مجروح عند العلماء**، ذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ترجمة رقم ٥٧٦٩ وهو "صدوق يَهِم" (أي يتوهم). وقال عنه أبو زرعة: "ليس بالقوي"، وقال أبو حاتم: "أدركته ولم يقض لي السماع منه كان عنده غرائب، ولم يكن عندهم بالمحمود، وهو إلى الضعف ما هو"، راجع تهذيب التهذيب ٩: ٢٧٨ ترجمه رقم ٥١٧، ونقله عنه ابن حجر في الإصابة ١:٤٤٦، وابن كثير في البداية ١:٣١١، كما ذكره الحافظ الذهبي في لسان الميزان ضمن ترجمة السري بن يحي بن إياس رقم ٣٠٩٣، وقد **قدح ابن المنادي في ضمرة والسري ورياح**، بينما وثق السري كل من: أحمد ويحي بن سعيد وابن عبد البر وابن شاهين، وقال عنه أبو حاتم: صدوق لا بأس به صالح الحديث، وذكره الأزدي في الضعفاء وقال: حديثه منكر. والله أعلم

٢ يعلل ابن عساكر قول قيّم المسجد عن الخضر بقوله لا دليل في هذه القصة لاحتمال أن يكون قيم المسجد كان نائما فيه فكذب على الوليد لئلا يبطش بهم وبه ٥:١٤٦

كهذا عن أمير المؤمنين حتى يصادفه بنفسه؟ كما نلاحظ أن هذه القصة لم تتطرق لضخامة الخضر عليه السلام، بخلاف حكاية الخضر عليه السلام مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٤- الخضر والإسرائيليات

رغم تحذير النبي ﷺ لأمته بقوله: ﴿لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء﴾.[١] إلا أن الروايات المنقولة عن كعب الأحبار ووهب بن منبه كثرت في المصادر الاسلامية، ويعلق على ذلك الحافظ ابن كثير بقوله: "والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان ومما لم يكن، ومما حُرِّف وبُدِّل ونُسخ، وقد أغنانا الله بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة"،[٢] وقد لاحظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثرة روايات كعب الأحبار عن أهل الكتاب فاستدعاه وقال له: "لتتركن الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القردة"،[٣] وقد سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن كعب الأحبار يحدث رهطا من قريش عن أهل الكتاب عن كعب فقال: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا لنبلو مع ذلك عليه الكذب".[٤] وينسب بعض المحققين إلى كعب الأحبار أنه كان المدبر الحقيقي لقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه أظهر الإسلام لينال منه.

وخلاصة قول العلماء أن ما يحكيه كعب الأحبار وغيره عن أهل الكتاب والكتب القديمة ليس بحجة عند أحد من أهل العلم، كما أنه ليس كل ما نسب إليه في الكتب بثابت عنه، فإن الكذابين من بعده، قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يَقُلْها".[٥]

ومع تحذير النبي ﷺ وعمر ومعاوية رضي الله عنهما، فلا يستطيع الباحث أن يتتبع الآثار الإسرائيلية التى امتلأت بها الكتب في موضوعنا هذا أو يستقصي الأخبار التي وردت

---

١ رواه البخاري في صحيحه تعليقا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وخصص له بابا بنفس الاسم، ووصله أحمد بن حنبل في مسنده

٢ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، تفسير سورة النمل

٣ أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه ١:٥٤٤

٤ رواه البخاري في كتاب الاعتصام عن معاوية تعليقا، ورواه موصولا في التاريخ الصغير

٥ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ترجمة كعب بن ماتع الحميري رقم ١١١، ٣:٤٩٠

عمن يرون أن الخضر حيٌّ إلى أن تقوم الساعة، وإنما سنضرب مثالين فقط:-

الرواية الأولى: وتروى عن كعب الأحبار الذي يقول: "الخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى والبحر الأسفل، وقد أمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع، وتعرض عليه الأرواح غدوة وعشية".[1]

درجة الأثر: أثر ضعيف فيه متهم ليس بشيء، ومنكر الحديث، ومن في حديثه اضطراب. كما تضفي هذه الرواية على الخضر مقام الألوهية لما يلي:

١- الخضر على منبر من نور تُعرض الأرواح عليه صباحا ومساء.

٢- وبيده مقاليد دواب البحر، ولا نعرف أدواب البحر الأعلى أم الأسفل هي التي أمرت بطاعة الخضر عليه السلام، ولا يخفى أن هذا العرض يتبعه قرارات، والغريب أن تزعم هذه الروايات أن منبر الخضر بين البحرين.

٣- ودواب البحر تسمع له وتطيع، ولا نعلم لها طاعة إلا لله رب العالمين.

ثم أي منبر هذا الذي يجلس عليه الخضر؟ ولم تخصص مكان الخضر وارتبط بالبحر؟!

ربما كف الباطنيون عن مزاعمهم هذه لو علموا ما يرويه جابر عن النبي ﷺ حيث يقول: ﴿إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة﴾.[2] وسنعرض من قصص الصوفية تفصيلا عن مهام يقوم بها السمك لخدمة الخضر.

---

١ أورده الألوسي في روح المعاني ٣١٩:٥ ، وأبو نعيم في الحلية ٧:٦ من طريق أبي صالح كاتب الليث عن يحي بن أيوب عن خالد بن يزيد عن كعب الأحبار، **وأبو صالح هو عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني**، قال صالح بن محمد: كان يحي بن معين يوثقه وعندي أنه كان يكذب في الحديث، وقال ابن المديني: "ضربت على حديثه، وما أروي عنه شيئا"، وقال أحمد بن صالح: "متهم ليس بشيء"، وقال النسائي: "ليس بثقة"، وقال عنه أحمد بن حنبل: "كان أول أمره متماسكا ثم فسد بآخره، وليس هو بشيء"، **ويحيى بن أيوب هو أبو العباس المصري** قال عنه أحمد بن حنبل: "سيء الحفظ، يخطئ خطأ كثيرا"، وقال عنه النسائي في الضعفاء والمتروكين: "ليس بذاك القوي، صفحة ٢٤٠ ترجمة ٦٢٦، وقال مرة: ليس به بأس"، وقال ابن سعد: "منكر الحديث"، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير ترجمة ٢٠١١، وقال الدارقطني: "في بعض حديثه اضطراب". والخبر ينتهي إلى كعب الأحبار يرويه عن اليهود.

٢ أخرجه مسلم حديث ٥٠٣١ وأحمد ٣١٤:٣ ، ٣٣٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٦

الرواية الثانية:

وهي أيضا عن كعب الأحبار قال: "خرج الخضر بن عاميل إلى بحر السهركند، وهو بحر الصين، فقال لأصحابه: دَلُّوني (أي أنزلوني) في هذا البحر فإني أحب أن أعرف ما عمقه؟ فدَلَّوه أياما وليالي، ثم خرج فقال: استقبلني ملك من الملائكة فقال: يا أيها الآدمي الخُطي (وفي رواية الخطاء) إلى أين؟، وأين تريد؟، قال:

قلت: أريد أن أعرف عمق هذا البحر.

قال: كيف وقد ألقي رجل من زمان داود عليه السلام وذلك منذ ثلاثمئة سنة، فما بلغ ثلث قعره حتى الآن (وفي رواية حتى الساعة). فقلت: فأخبرني من أين أقبلت (جئت)؟

قال: من عند الحوت بعثني الله عز وجل له أعذبه (وفي رواية أُغذيه)، لأن حيتان البحر شكت إلى الله كثرة ما يأكل منها.

قلت: فأخبرني عن المد والجزر؟

قال الملك: إن الحوت الذي الأرض على ظهره يتنفس فيصير الماء في منخره، فذلك الجزر، ثم يتنفس فيخرجه من منخره فذلك المد.

فقلت: فأخبرني علام قرار الأرض؟

قال: الأرضون السبع على صخرة، والصخرة على كف ملك، الملك على جناح الحوت في الماء، والماء على الريح، والريح في الهواء عقيم لا تلقح وأن قرونها معلقة بالعرش".[1]

وقد كفتنا خرافة القصة مئونة نقدها، ومثل هذه الخزعبلات لا تحتاج إلى تفنيد، وحتى لو نقل الناس عن أهل الكتاب ما قد نراه حقا وصوابا، فنحن مأمورون بالتوقف عن النقل عنهم لقول رسول الله ﷺ حيث يقول: ﴿ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه﴾.[2]

---

١ رواه أبو الشيخ في كتابه العظمة عن عبدالله بن مسلم عن علي بن داود حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا يحي بن أيوب عن خالد بن أيوب عن خالد بن يزيد عن كعب الأحبار، رقم ٩٢٧/٩ صفحة ٣١٢، كما نقله ابن كثير في البداية والنهاية ٣١١:١

٢ رواه أبو داود في سننه ٣١٨:٣ حديث ٣٦٤٤ من رواية ابن أبي نملة الأنصاري عن أبيه، في باب رواية حديث أهل الكتاب

٥- الخضر والدجال

لا يخلوا مصدر من مصادر السنة من عشرات الأحاديث التي تتناول الدجال سواء برواية قصته وما سيحدث منه، أو التحذير من فتنته والاستعاذة من شره، ومع هذا لا يوجد في هذه الأحاديث النبوية أو في أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أي إشارة إلى حياة الخضر في ذلك الوقت أو مشاركته في أحداث الدجال.

ولعل أول إشارة إلى اجتماع الخضر والدجال هي اجتهاد معمر بن راشد حين فسر أحد هذه الأحاديث بما يدعم فكرة حياة الخضر إلى يوم القيامة، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثنا رسول الله ﷺ قال: ﴿يأتي الدجال وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب[1] المدينة، فيخرج إليه رجل وهو خير الناس (وفي رواية أو من خيرهم) فيقول: أشهد أنك أنت الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ بالمدينة﴾.

وإلى هنا ينتهي الحديث كما رواه أحمد في مسنده واتفق عليه البخاري ومسلم وعبدالرزاق في مصنفه دون اختلاف يذكر في ألفاظه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول (الخضر) حين يحيا: والله ما كنت أشد بصيرة فِيكَ منيّ الآن، قال: فيريد (الدجال) قتله الثانية فلا يسلط عليه".[2]

ويعلق أبو إسحق إبراهيم بن سفيان راوي صحيح مسلم بقوله: يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام، وقال: معمر بعد حديث عبدالرزاق: "بلغني أنه (أي الذي يقتله الدجال) يُجعل على حلقة من صفيحة من نحاس"، وبلغني أنه الخضر".[3]

ويتبين من ذلك أن معمر بن راشد يقول بلغني أنه الخضر، وهذا الخبر المعلق غير معلوم قائله، ولو كان خبرا ثابتا لنسبه لنا وأسنده بما يقويه، ولعززه بالأدلة والبراهين، ولكنه اكتفى

---

١ نقاب : أي طريق

٢ أخرجه البخاري في كتابي الحج والفتن حديث ١٧٤٩، ٦٥٩٩ ومسلم في الفتن حديث ٢٩٣٨، وأحمد في مسنده ٣:٣٦، الفتح الرباني بترتيب المسند ٢٤:٨٢، وعبدالرزاق في مصنفه ١١:٣٩٣ حديث ٢٤٠٨٣

٣ أخرجه عبدالرزاق في مصنفه حديث ٢٠٨٢٤ قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٨:٧٢ "قوله أبو اسحق هو إبراهيم بن سفيان راوي الكتاب عن مسلم"، أخرجه مسلم وقال أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوي عن مسلم: والصحيح أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا الرجل الخضر، أما قول معمر وغيره بلغني، ليس فيه حجة، نقلا عن ابن كثير في البداية والنهاية

بقوله بلغني وهذه صيغة معلوم ضعفها، خاصة وإن أتت بشيء غير معلوم في الدين، وهذا قول على الله ورسوله بغير علم ولا تقوم به حجة في الدين، ولو كان صحيحا لصرحت به بعض الأحاديث الكثيرة في هذا الباب، بل إن هذا القول يخالف رواية الحديث الذي جاء فيه هذا الوصف المحدد للرجل بأنه: "فَيُأتى بشاب ممتلئ شبابا فيقتله"، ولا شك أن من كانت حياته مساوية لعمر الدنيا لا يوصف بأنه شاب ممتليء شبابا. هذا بهتان يناقض العقل والنقل.

الفصل الثالث

الخضر
والفرق الباطنية

١- الخضر والشيعة
٢- الخضر والباطنية
٣- الخضر والصوفية

الفصل الثالث: الخضر والفرق الباطنية

يحتل الخضر عليه السلام مكانا بارزا في الفكر الباطني، فهم يعتبرون لقاءه موسى عليهما السلام دليلا على تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، فموسى وهو نبي من أولي العزم من الرسل حاول جاهدا صحبة الخضر، إلا أن اعتراضه منعه من تلقي المزيد من علم الباطن.

وفي نفس الوقت تراهم يروّجون لفكرة حياة الخضر إلى اليوم وبالتالي ينفتح المجال على مصراعيه ليقولوا ما يريدون بثه بين أتباعهم ولا يستطيع أحد أن يعصي أمر إمامه أو شيخه، وإلا كان نصيبه الفراق والإبعاد، وإذا انقطع وحي النبوة بوفاة رسول الله ﷺ فما زال إلهام الباطنية مستمرا لحياة الشيخ الأول للباطنية وهو الخضر، كما أن ترويجهم لفكرة حياته تضيف عليهم هالة كبيرة فهم أهل لرؤيته والتلقي عنه، وما أسهل الزعم أن الخضر زارهم وأمرهم، لذا سنبين مكانة الخضر عند كل فرقة من الباطنية على حده.

أولا: الخضر والشيعة

احتلت قصة موسى والخضر عليهما السلام حجر الزاوية في الفكر الشيعي، وسكنت أهواء القوم إلى تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وظنوا أنفسهم الخواص المؤهلين لتلقي أسرار الباطن، وجعلوا علم القشور أو علم الظاهر للعوام.

إن هذا التقسيم يُسهل عليهم الانطلاق في التأويل والافتراء إلى نهاية المدى، فعلوم الدين تحكمها النصوص والأدلة النقلية والعقلية، وقد تعهد الله تبارك وتعالى بحفظ القرآن الكريم وشرح صدر الصدِّيق والفاروق وذي النورين رضوان الله عليهم أجمعين حتى جُمع بين دفتي المصحف، كما يسر سبحانه وتعالى حفظ السنة النبوية بجهود سلف الأمة وعلماء الحديث فاهتموا بالرجال والإسناد ووضعوا ضوابط علم الجرح والتعديل فلولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ولاختلطت السنة وضاع بيان حقائق الدين.

لما هزم أصحاب رسول الله ﷺ أكاسرة الفرس دانت دولتهم، وأطفأ نور الإسلام نار المجوس حاول عبدة الطاغوت بذر الفرقة في صفوف المسلمين، وكلما أحدثوا في الدين تصدى لهم السلف الصالح، وعندما اختنق الفكر الشيعي وفشلت محاولات اختراقهم للدين، لم يجدوا إلا مثل هذه الروايات:- "ورد في الدر المنظم: اعلم أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء،

قال الإمام علي كرم الله وجهه: أنا النقطة التي تحت الباء"، وقال أيضا: العلم نقطة كثَّرها الجاهلون، والألف وحدة عرفها الراسخون"[1].

وفي شرح الرسالة الموسوية بالفتح المبين يزعمون أن ابن عباس قال: "شرح لنا علي رضي الله عنه نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ"، فالشيعة إذن يرون العلم كله تحول إلى نقطة تحت الباء، وهذه النقطة هي علي بن أبي طالب، وشرحها يحتاج الليالي ذوات العدد، وقد فاتهم أن القرآن الكريم دُوِّن بدون نقط، وظل كذلك قرابة قرن من الزمان، حتى قام عبدالملك بن مروان ثم الحجاج بن يوسف الثقفي بوضع النقط ليس فقط لحرف الباء وإنما للباء والتاء والثاء وغيرها، فأين كانت نقطة الباء وأسرارها عشرات السنين قبل أن يضعها الحجاج؟!

---

١ ٦٨ ينابيع المودة

■ الأئمة أعلم من موسى والخضر

بعد أن استند الفكر الباطني على لقاء موسى والخضر عليهما السلام، راحوا يرفعون أئمتهم فوق مقام موسى والخضر، يروي الجزائري فيقول:

"أن موسى لما عاد إلى قومه من لقاء الخضر سأله أخوه هارون عما شاهده من عجائب البحر، قال موسى عليه السلام: أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سَقَطَ بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى بها نحو المشرق، وأخذ الثانية ورمى بها نحو المغرب، فأخذ الثالثة ورمى بها نحو السماء، وأخذ الرابعة ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ الخامسة فألقاها في البحر، فبُهِتُ أنا والخضر من ذلك، وسألته عنه فقال: لا أعلم، فبينما نحن كذلك إذا بصياد يصيد في البحر فنظر إلينا وقال: مالي أراكما في فكرة من أمر هذا الطائر؟ فقلنا: هو كذلك، فقال: أنا رجل صياد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيان لا تعلمان؟ فقلنا: لا نعلم إلا ما علمنا الله ﷻ قال الصياد: فإشارته برمي الماء يقول يأتي في آخر الزمان نبي يكون أعلم أهل السماوات والأرض والمشرق والمغرب، علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر، ويرث علمه ابن عمه ووصيه علي بن أبي طالب، فعند ذلك سكن ما كنا فيه من التشاجر، واستقل كل واحد منا علمه.[1]

أرأيت ياأخي الكريم خيالا أوسع من هذا، صياد من بني إسرائيل بينه وبين أئمة الشيعة الآف السنين، يعرف ما لا يعرفه نبيان كريمان، ويشرح لهما ما فعله الطائر بما يوافق عقيدة الشيعة الفاسدة، ولا نعرف لماذا تركه موسى والخضر عليهما السلام دون اتباعه فمعرفته بالوصية أولى من كل شيء!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

■ علي يجدد إيمان الخضر

يروي الشيعة حديثا طويلا عن لقاء بين الخضر وعلي، أجاب فيه على جميع أسئلة الخضر فما كان من الخضر إلا أن أقر بالشهادتين ثم بوصاية علي وأئمة الشيعة الإثنى عشر واحدا بعد الآخر، ثم انصرف، فقال علي: إنه الخضر.

■ الشيعة تُرَوِّج لحياة الخضر

تروج الشيعة بين البسطاء من أهل السنة والشيعة على السواء لحياة الخضر وبقائه إلى قرب الساعة لسبب خفي يشرحه أحد علمائهم قائلا: "وأما الخضر ما طَوّل الله عمره لنبوة

---

١ الأنوار النعمانية ص ٢٢ نقلا عن كتاب الأربعين.

قدَّرها له، ولا لكتاب ينزل عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله، ولا لأمة يلزم اقتداؤهم به، ولا لطاعة يعرضها له، بل طوَّل عمره للاستدلال به على طول عمر القائم (عجل الله فرجه)، ولتقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون على الله حجة"[1].

فالهدف إذن من حياة الخضر عليه السلام منذ وفاة موسى عليه السلام إلى اليوم: هو فقط لإثبات حياة إمامهم الثاني عشر الذي دخل السرداب سنة ٢٥٦ هـ وينتظرون خروجه ويدعون الله أن يعجل فرجه!

ثانيا: الخضر والباطنية

يطلق لفظ الباطنية إذا ورد مجملا على غلاة الشيعة، وقد انقسمت الباطنية إلى فرق وشعب أبرزها الإسماعيلية والدروز والعلويون أو من يسمون بالنصيرية، وقد استحقوا هذا الوصف لأنهم حولوا الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية إلى دين آخر يتكون من ظاهر وباطن، وتعتقد فرق الإسماعيلية والدروز والعلويين أن لكل ظاهر باطنا، وأن لكل تنزيل تفسيرا ظاهرا، وتأويلا باطنا، وأن العلوم منها ما يليق بالعوام معرفته، ومنها ما لا يدركه إلا الخواص أصحاب الوراثة الروحية للدعاة والأئمة، ويشرحون الوراثة الروحية بقولهم: "والوراثة الروحية أن يصبح المدعو (أو المريد) ابنا روحيا للداعي (أو الشيخ)، ويرتبط به بعلاقة لا تقل عن رابطة الدم، ومن صدق الصحبة وطول الملازمة بينهما ينتقل الطالب في درجات متلاحقة، لا ينتقل من درجة إلى أخرى إلا بإذن الداعي"[2].

راحت أهواء الباطنيين تسول لهم أن الدين مقسم إلى ظاهر متروك للعامة، وأسرار باطنية تحتوي على خزائن علم الله لا يعلمها إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده، ويهدفون بذلك أن الله يريد من خلقه أن يلوذوا بغيره (حاشا لله، والله ما نزل الوحي على رسول الله ﷺ إلا لينسف الشرك وسدنة الأصنام)، ولا يستحيون من الله أن ينسبوا الظاهر الذي هو القشور في نظرهم لرسول الله ﷺ ويعطون الحقائق والبواطن لعلي رضي الله عنه، وسنفرد الكتاب الثالث من هذه السلسلة بإذن الله تعالى لبيان نشأة الباطنية وتأثرها بأفكار الفلاسفة ومجمل عن فساد عقائدهم وخطورتهم على الإسلام والمسلمين.

وقد اعتبر الباطنيون أن قصة موسى والخضر عليهما السلام أصدق دليل على زعمهم،

---

١ إلزام الناصب ٢٨٦:١ اليزيدي الحائري

٢ فضائح الباطنية أبو حامد الغزالي ٢٣:٢٢ بتصرف

فالخضر عليه السلام مختص بعلم الباطن مع كونه ليس نبيا، وموسى عليه السلام وهو نبي يلتمس صحبة الخضر عليه السلام ليتلقى علم الباطن على يديه، فما الذي يمنع أن يكون علم الباطن خاصا بعلي بن أبي طالب، وعلم الظاهر خاصا بالنبي ﷺ ذلك إفكهم المبثوث في كتبهم نسوق منه ما نظمه أحد زعمائهم الملقب بالداعي المؤيد في الدين حيث يقول:[1]

وإن أجزنا ظاهر الكلام
في ذاك أسلمناه للخصام
ففي اختلاف القرآن كثرة
من كل قول مع كل زمرة
يا قوم سر الملكوت هذا
يجعل أصنامكم جذاذا
سر له صاحب موسى الخضرا
قال معي لن تستطيع صبرا
وقال موسى سوف ألفي صابرا
فلم يكن إذ ذاك إلا قاصرا
تدبروا القصة ماذا يمما
من قصها إن لم تكونوا نوما
لعلكم أن تحسبوها سمرا
إذن أسأتم للنفوس النظرا
ورب معنى ضمه كلام
كمثل نور ضمه ظلام
باق بقاء الحب في السنابل
في معقل من أحرز المعاقل
وإنما باب المعاني مقفل
وأكثر الأنام عنها غفل
مفتاحه أضحى بأيدي خزنة
بهم إلهي علمه قد خزنه

---

١ الإسماعيلية كامل حسين ١٥٧ ـ ١٦٣ نقلا عن إسلام بلا مذاهب د. مصطفى الشكعة ٢١٢

كيما يلوذ الخلق طرا بهم

خصوا بهذا النور من ربهم

ويكفي في هذا المقام أن تنقل عن ابن تيمية رحمه الله تحذيره للمسلمين من خطورة الباطنية فيقول: "إن النصيرية[1] هم دائما مع كل عدو للمسلمين ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائما مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى، بل من أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم أن يستولي النصارى - والعياذ بالله - على ثغور المسلمين، حتى أن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم، واستولت الحملات الصليبية على السواحل الشامية بسببهم، بل إنهم أعانوهم على دخول بيت المقدس وغيره".[2]

---

١ النصيرية: فرقة من غلاة الباطنية يعرفون اليوم باسم العلويين

٢ دراسات في الفرق د. صابر طعيمة ٥٩ - ٦٠

ثالثا: الخضر والصوفية

يصطلح الصوفية على أن "الخضر شيخ المتصوفة، قادهم في رحلتهم الطويلة فكان لهم نعم المعلم والسمير والرفيق، وهو شيخ الشيوخ يرشد ويهدي ويقود المريد خطوة خطوة. وللخضر آراء غريبة، وينبغي على السالك إطاعته مهما كانت أوامره، قد يطالب بفعل الشر وإتيانه، ولكن لا خوف ولا تثريب، إذ العبد، هاهنا، في قبضة الرحمن الذي شاء له أن يعلو ويسمو حتى يغدو بدوره نجما. واختراق حاجز الشرور سبيل لمعرفة أصول التوحيد، كما فعل العبد الصالح مع موسى، فلا يتوهمن إنسان أن ما يأمر به الخضر غايته الفساد، لا معاذ الله، وكيف يفعل الروح الخضر هذا وهو المعلم الأول"[1]، ثم يستشهد بقول الغزالي:

فكان ما كان مما لست أذكره   فظُن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ويعلق صوفي آخر على قصة موسى والخضر بقوله "إن للحق عبادا أقامهم لبيان المكتسبات، وعبادا أقامهم لبيان الموهوبات، ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر، ولا يشاركه فيما أقيم فيه"، ثم يشير إلى علو مكانة الخضر على موسى عليهما السلام بقوله: "ما من كامل في رتبة إلا وهو جامع لكمالات ما دونها، وفقير لكمالات ما فوقها".

وينصح السهروردي المريدين بقوله: "وينبغي للمريد أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره، فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ، فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة" ثم يستطرد قائلا "وقيل: من قال لأستاذه: لِمَ؟ لا يفلح أبدا"[2]، ويحاول السهروردي أن يفسر لنا رأي الصوفية هذا فيزيد الطين بلا بقوله: " فالشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا، لا يتكلم بهوى النفس."[3]

وبرغم أننا لا نجد أثرا في كتب الصحاح والسنن المعتبرة عن لقاءات الخضر عليه السلام مع الصحابة أو التابعين، ولم يزعم أحد من جمهور العلماء أنه رأى الخضر، راحت تتناثر

---

١ النصوص في مصطلحات الصوفية لمحمد غازي عرابي ١١٦

٢ عوارف المعارف للسهروردي ٤٠٩

٣ عوارف المعارف للسهروردي ٤٠٤

على استحياء في كتب التاريخ قصص هذه اللقاءات التى ذكرناها آنفا، وقد تعقب العلماء والحفاظ هذه الحكايات نقدا وتجريحا، إلا أن ظاهرة لقاءات الخضر والصوفية عامة لا يكاد يخلوا منها كتاب من كتبهم، حتى تكررت في ترجمة الصوفية عبارة "وكثيرا ما يجتمع أو يتلقى عن الخضر" خاصة في كتب المتأخرين منهم، ولبيان مهمة الخضر التي يخلد من أجلها، نعرض فيما يلي أمثلة مما في كتب الصوفية وطبقاتهم:-

■ الخضر يعلم ابن عربي التسليم للمشايخ

يروى ابن عربي قصة شرب الخضر من عين الحياة ثم يقول: "ولقيت الخضر باشبيلية، وأفادني التسليم للشيوخ، وألا أنازعهم، وكنت في ذلك اليوم قد نازعت شيخا لي في مسألة، وخرجت من عنده، فلقيت الخضر بقوس الحنية، فقال لي: سلم إلى الشيخ مقالته، فرجعت إلى الشيخ من حيني، فلما دخلت عليه منزله كلمني قبل أن أكلمه، وقال لي: يامحمد احتاج في كل مسألة تنازعني فيها أن يوصيك الخضر بالتسليم للشيوخ![1]

■ الخضر يعلم الصوفية من علم داود

يروى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال "توجهت إلى مكة فبينا أنا في البادية، إذا أنا برجل يسير، ليس معه إناء ولا زاد، فلما أمسى، وصلى المغرب، حرك شفتيه بكلام لم أفهمه، فإذا أنا بشخص آخذ بحجزتي[2] وقال: سل تعطه، فراعني قوله، فقال لا روع عليك ولا بأس عليك! أنا أخوك الخضر، إن أخي داود، علمك اسم الله الأعظم ".[3]

■ الخضر يتودد إلى المريدين

قال أبو عبيد البسري قال لي الخضر: يا أبا عبيد أنا أجيء إلى العارفين في اليقظة، وأجيء إلى المريدين في المنام أودهم".[4]

---

١ الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي ٣٣٦:٣

٢ بحجزتي : بثيابي

٣ طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي ٣١ عن عثمان بن عمارة ذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ٤٠٤٩، وذكر نفس القصة الهجويري في كشف المحجوب ٣١٦

٤ طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٦٤

■ الخضر يراجع مؤلفات الصوفية

* يحكى عن محمد بن علي الحكيم الترمذي أنه أعطى محمد بن عمر الوراق كراسة وقال له ألقها في جيحون!، فلم يطعه قلبه، وأخفاها في منزله ثم جاءه فقال له ألقيتها ، وماذا رأيت؟ قال: لم أر شيئا، قال: لم تُلقها، عد وألقها في الماء، فانشق الماء وظهر صندوق مفتوح، فلما وقعت فيه أغلق الغطاء، فعدت ورويت له ما حدث، فقال: الآن ألقيتها. قلت: أيها الشيخ ما سر هذا؟ حدثني به، قال: كنت قد صنفت كتابا في علم هذه الطائفة، يصعب على جميع العقول تحقيقه، وقد طلبه مني أخي الخضر عليه السلام، وكانت سمكة قد أحضرت هذا الصندوق بأمره، وأمر الله تعالى الماء أن يوصله إليه.[1] وتشير القصة إلى حياة الخضر في البحر، وكيف يُسَخِّر السمك لينقل له كتب الصوفية!

* يروى عن الحكيم الترمذي أن الخضر يحضر إليه كل أحد، وكانا يتساءلان الوقائع.[2]

■ الخضر يسمع الملائكة

* يروى عن شقيق البلخي أنه قال "لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة فقال لي اجتمعت بالخضر عليه السلام، فقدم لي قدحا أخضر فيه رائحة السكباج،[3] فقال لي: كل يا إبراهيم، فرددته عليه، فقال: إني سمعت الملائكة تقول من أعطى فلم يأخذ، سأل فلا يعطى".[4]

■ يعلم الصوفية سُنَّة أُخرى

* وكان أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري يقول: علمني الخضر عليه السلام رقية الوجع، فقال: "إذا أصابك وجع فضع يدك على الموضع وقل: وبالحق أنزلناه وبالحق نزل، فلم أزل أقولها على الوجع فيذهب لساعته".[5]

* ويقول أبو تراب النخشبي رأيت رجلا بالبادية فقلت له: "من أنت؟، فقال: أنا الخضر الموكل بالأولياء أرد قلوبهم إذا شردت عن الله ﷻ يا أبا تراب التَّلَفُ مِن أول قَدَمٍ والنجاة

---

١ كشف المحجوب للهجويري ص ٣٥٤، وكررها في ص ٤٧٣

٢ كشف المحجوب للهجويري ص ٧١

٣ السَّكَابُ والسكباج : نبات له ريح طيب ينمو في الفيافي والوديان يصنع منه أهل الحجاز النبيذ

٤ الطبقات الكبرى للشعراني ١:٦٥

٥ الطبقات الكبرى للشعراني ١:٧٠

من آخر قدم".[1]

■ ملازمة الخرائب تربية باطنية

* يقول عبدالقادر الجيلاني: "أقمت في صحراء العراق وخرائبه خمسا وعشرين سنة مجردا سائحا لا أعرف الخلق ولا يعرفونني، يأتيني طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله ﷻ. ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي العراق وما كنت عرفته، وشرط أن لا أخالفه، وقال لي: اقعد هنا، فجلست في الموضع الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني كل سنة مرة، ويقول لي: مكانك حتى آتيك، قال: ومكثت سنة في خرائب المدائن آخذ نفسي بطريق المجاهدات، فآكل المنبوذ، ولا أشرب الماء، ومكثت فيها سنة أشرب الماء ولا آكل المنبوذ، وسنة لا أشرب ولا آكل ولا أنام".[2] ومن عجب أن يترك الجيلاني بني آدم خمسا وعشرين سنة ويتفرغ لتعليم رجال الغيب والجان الطريق، ثم يأتيه من لا يعرفه، فيأمره ويطيع، فيأكل سنة من البقايا وما يرميه الناس في المهملات ولا يشرب الماء، ثم سنة ثانية وثالثة حرمه النوم، ولا تعرفنا القصة متى علم أن الذي يطيعه هو الخضر أبَعْد الأعوام الثلاثة أم بعد أن كلفه بأمور أكثر غرابة.

■ الخضر يطير في الهواء

* حكي عن إبراهيم الخواص أنه قال: كنت في البادية جالسا مستجمع الهم، وقد مضت علي أوقات لم أتناول فيها الطعام، فبينا أنا كذلك إذا بالخضر عليه السلام مارا في الهواء، فلما رأيته طأطأت رأسي وغمضت بصري، ولم أنظر إليه، فلما رآني جلس إلى جنبي، فرفعت رأسي، فقال لي: يا إبراهيم، لو أعرتني الطرف ما جئت إليك.[3]

■ الصوفية يترفعون عن صحبة الخضر

* سئل الخواص عن أعجب ما رأى؟ فقال: رأيت منها الكثير، ولكن ليس فيها ما أعجب من أن الخضر عليه السلام طلب مني أن يصحبني فلم أجبه! قيل: لم؟ قال: لأني كنت أطلب رفيقا خيرا منه، ولكني خشيت أن أعتمد عليه دون الحق، وتضر صحبته بتوكلي، وأتخلف

---

١ الطبقات الكبرى للشعراني ١:٧١

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ١:١١١

٣ اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ٢٢٤

بالنافلة عن الفريضة.[1]

ويا عجبا لهؤلاء كيف يصدقون أن مشايخهم يترفعون عن صحبة الخضر عليه السلام، بينما موسى الكليم يقطع المسافات ويلقى التعب والنصب لتنفيذ أمر الله له ولقاء الخضر.

■ الخضر يدل تائهي الصوفية

* وكان أبو اسحق بن إبراهيم بن إسماعيل الخواص يقول: "لقيت الخضر عليه السلام في بادية فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد علي توكلي بالسكون إليه ففارقته، ثم يستطرد قائلا: عطشت في بادية في طريق الحجاز، فإذا براكب حسن الوجه على دابة شهباء فسقاني الماء، وأردفني خلفه، ثم قال: انظر إلى نخيل المدينة فانزل واقرأ على صاحبها مني السلام وقل أخوك الخضر يقرأ عليك السلام".[2]

ويا عجبا من جرأة أهل الشطح، الخضر عليه السلام يطلب صحبة الخواص ويرفض الرجل خشية أن يفسد عليه توكله، ثم يسير في الصحراء بلا زاد أو راحلة حتى إذا عطش يأتيه الخضر فيسقيه ويردفه خلفه ويوصله إلى المدينة والخواص لا يعرفه، أما كان أولى له أن يستن بسنة رسول الله ﷺ في الهجرة حيث أعد زاده وعدته ورتب دابته واستأجر الدليل، أيخالف الخواص سنة رسول الله ﷺ ثم يزعم لقاء الخضر عليه السلام، وكأن مهمة الخضر هي سقي الصوفية وتوصيلهم مكافأة لهم على مخالفتهم هدي نبيهم ﷺ.

■ الخضر يحب الشوربة

* وكان الشيخ عبدالله القرشي يجتمع كثيرا بالخضر عليه السلام، وكان يطبخ طعام القمح كثيرا، فقيل له في ذلك فقال: "إن الخضر عليه السلام زارني ليلة فقال اطبخ لي شوربة قمح، فلم أزل أحبها لمحبة الخضر عليه السلام لها".[3]

ليس الغرض من حكاية الشيخ حب الخضر للشوربة أو ثناءه عليها، وإنما المقصود أن يوهم أتباعه أنه يجالس الخضر ويأكل معه، وأنه يتبع الخضر في كل أموره حتى حبه للشوربة ليس من نفسه إنما اتباع وتقليد للخضر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

---

١ كشف المحجوب للهجويري ٣٦٥، وكررها المؤلف مطولة ٥٣٠، وحكاها ثالثة بشكل آخر ٥٨٨

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ٨٤:١

٣ الطبقات الكبرى للشعراني ١٣٧:١

■ الخضر تابع للحفني

* ويروى عن الشيخ الحفني: "أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلسه مرارا يجلس على يمينه، فإن قام الشيخ قام معه، وإن دخل الخلوة شيعه إلى باب الخلوة".[1]

* ويقول أبو الحسن الشاذلي: "لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي: ياأبا الحسن أَصْحَبَكَ الله اللطف الجميل، وكان لك صاحبا في المقام والرحيل".[2]

■ الخضر يعين الأبدال

يروي السيوطي عن اليافعي عن بعض أصحاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني قصة غريبة تجعل للخضر دورا في اختيار الأبدال، حيث يقول: "خرج الشيخ عبدالقادر من داره ليلة فانفتح له باب المدرسة، فخرج وخَرَجْتُ خلفه، فإذا نحن في بلد لا أعرفه، فدخل فيه مكانا شبيها بالرباط، فإذا فيه ستة نفر، فبادروا بالسلام عليه، والتجأت إلى سارية هناك، وسمعت أنينا فلم نلبث إلا قليلا حتى سكن الأنين، ودخل رجل وذهب إلى الجهة التي سمعت فيها الأنين، ثم خرج يحمل شخصا على عاتقه، ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب، وجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشيخ الشهادتين، وقص شعر رأسه وشاربه، وألبسه طاقية وسماه محمدا، وقال لأولئك النفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلا عن الميت، قالوا: سمعا وطاعة، ثم خرج الشيخ وتركهم، وخرجت خلفه، وشيئا غير بعيد وإذا نحن عند المدرسة في بغداد، فأقسمت على الشيخ أن يبين لي ما رأيت، فقال: أما البلد فنهاوند، وأما الستة فهم الأبدال، وصاحب الأنين سابعهم وكان مريضا، فلما حضرته وفاته جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصا فأبو العباس الخضر عليه السلام، ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين، فرجل من أهل القسطنطينية كان نصرانيا، وأمرت أن يكون بدلا عن المتوفى، فأتي به فأسلم على يدي وهو الآن منهم."[3]

---

١ الطبقات الكبرى للشعراني ٩٢:٢

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ٤:٢

٣ ينقله السيوطي عن كتاب كفاية المعتقد لليافعي، راجع الحاوي للفتاوي، ٤٧٠:٢، إن هذا الخبر يلقي بروح اليأس في طريق المريدين، فالتعيين لمنصب الأبدال ليس بالإخلاص في الأوراد وحضور الموالد والحضرات، بل هو اختيار من القطب الذي لم يجد في أمة الإسلام من يصلح لهذا المقام فاختار نصرانيا، لم يغتسل للإسلام بعد.

■ يخبر بمقام الصوفية عند ربهم

* يقول أبو الحجاج الأقصري سمعت شيخنا عبدالرزاق يقول: "لقيت الخضر عليه السلام سنة ٥٨٠ هـ فسألته عن شيخنا أبي مدين فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت، وسره من الإرادة ذلك آتاه الله تعالى مفتاحا من السر المصون بحجاب القدس، ما في هذه الساعة أجمع لأسرار المرسلين منه".[١]

* ويروى القشيري في رسالته عن بلال الخواص قال: "كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت، فألهمت أنه الخضر عليه السلام، فقلت له بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك الخضر، قلت أريد أن أسألك، قال: سل، قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد، قلت: وما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: رجل صديق، قلت: ما تقول في بشر الحافي؟ قال: لم يخلق بعده مثله، قلت بأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببركة أمك".[٢]

■ شروط إجتماع الصوفي والخضر

يروي الشعراني في "الطبقات الكبرى" أنه سمع الشيخ علي النبتيني وهو يقول: "لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إذا اجتمعت فيه ثلاث خصال فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط، ولو كان على عبادة الملائكة: الخصلة:

الأولى: أن يكون العبد على سننه في سائر أحواله.

والثانية: أن لا يكون له حرص على الدنيا.

والثالثة: أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام لا غل ولا غش ولا حسد".

وحكي له عن الشيخ أبي عبدالله التستري أحد رجال الرسالة القشيرية أنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام، ويقول أن الخضر لا يجتمع بأحد إلا على وجه التعليم له، فإنه غني عن علم العلماء لما معه من العلم اللدني"[٣]

ثم ينسب نفس الحكاية في كتابه "الميزان الخضرية" لشيخه علي الخواص فيقول: "وأخبرني (سيده) علي الخواص أن للإجتماع بالخضر عليه السلام ثلاثة شروط، ومن لا تجتمع فيه لا يجتمع به، ولو كان على عبادة الثقلين:

---

١ الطبقات الكبرى للشعراني ١٣٣:١

٢ الرسالة القشيرية نقلاعن السيوطي في الحاوي للفتاوي ٤٦٩:٢

٣ الطبقات الكبرى للشعراني ١١٣:٢

الأولى: أن يكون على سنة، لا يتدين ببدعة.

الثاني: أن لا يكون له حرص على الدنيا، فلو خبأ عنده رغيفا إلى غد لم يجتمع به.

الثالث: أن يكون سليم الصدر للمسلمين، فلا يكون في قلبه غل، ولا حسد، ولا كبر على أحد منهم". قال: وكان أبو عبدالله (البشري) - أحد رجال رسالة القشيري - يجتمع به (الخضر) كثيرا، فوقع أنه قال لزوجته ضعي هذا الدرهم إلى غد، فانقطع عن رؤيته إلى أن مات، ثم رآه في المنام من بعد، فقال له: ما ذنبي؟ فقال له: أما علمت أنا لا نصحب من يخبئ رزق غد".[1]

■ الخضر مقام وليس شخص

يرى بعض الصوفية أن الخضر مقام يصل إليه العارفون وليس صاحب موسى ويقولون "إن لكل زمان خضرا، وأنه نقيب الأولياء، وكلما مات نقيب أقيم نقيب بعده مكانه ويسمى الخضر، ولهذا يختلف الصوفية في وصف الخضر، فمنهم من يراه كهلا أو شيخا أو رجلا أو شابا، وهو يؤكد اختلاف المرئي".

* يشير أبو العزايم إلى المتنافسين على مرتبة الخضر فيقول: "في هذا العصر أفراد وأبدال وأقطاب وعلماء وما شاكلهم، كلهم يتنافسون في أن ينالوا مرتبة الخضر عليه السلام، ولكن ما نالها من طريق الفضل إلا الخضر".[2]

* يقول القاشاني رأيا آخر: الخضر: كناية عن البسط، وإلياس كناية عن القبض، وأما كون الخضر عليه السلام شخصا إنسانيا باقيا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد، أو روحانيا يتمثل بصورته لمن يرشده فغير محقق عندى، بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه، ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس".[3]

* وجاء في معجم مصطلحات الصوفية في مادة خضر: الخضر: يعبر به عن البسط، فإن قواه المزاجية مبسوطة إلى عالم الشهادة والغيب، وكذلك قواه الروحية.[4]

---

١ الميزان الخضرية للشعراني ١٦

٢ في رحاب أنصار الحق لمحمود ماضي أبو العزايم ١٦٤

٣ اصطلاحات الصوفية للقاشاني تحقيق د. محمد كمال إبراهيم ١٦٠

٤ معجم مصطلحات الصوفية - د. عبدالمنعم الحفني ٩٠

تعقيب هام

لا يتسع المقام لذكر كل الصوفية الذين يزعمون رؤية الخضر وننقل عن الشعراني في طبقاته الكبرى وغيرها من مؤلفاته في ترجمة مشايخ الصوفية، أن ممن اجتمع بالخضر: ذو النون المصري، والشيخ عبدالرزاق، وإبراهيم الخواص، وأبو اليزيد البسطامي، وإبراهيم بن أدهم، وأبو الحسن الشاذلي، وأبو العباس المرسي، وياقوت العرشي، وعلي الضرير النبتيني، وعلي الخواص، وأفضل الدين، ومحمد المنير وغيرهم. ولا تنتهي الأمثلة من كتب الشعراني بل ومصنفات: أبو نعيم والقشيري وابن عربي والجيلي والشبلنجي والسرهندي واليافعي وغيرهم، لا تخلو من الإشارة إلى اجتماع الأولياء والخضر عليه السلام.

وقد يرى البعض أن هذه لا ضرر من الاستماع إليها، ولكنها في حقيقة الأمر تهدف إلى تزكية رجال التصوف فأين الشافعي وعلمه بزعمهم وأين الإمام أحمد بن حنبل وفقهه وحفظه للحديث ثم مواقفه لحماية العقيدة من بشر الحافي، ثم إذا تأملنا لقاءاتهم الخضر عليه السلام نلاحظ أمرا هاما أن كل مروياتهم تختلف عن أفعاله الثلاث مع موسى عليهما السلام، ولا نجد قصة واحدة تلقي ضوءا عن شخصية الخضر عليه السلام تصلح أن نضيفها إلى ما قصه القرآن عنه، بل على العكس تماما نجد قصص الصوفية تسيء إليه وتنقص من قدره، فنراه يأمر الجيلاني بالاعتزال ثلاث سنوات ليس له طعام إلا المنبوذ من الطعام، ولو كان هدفه تهذيب نفسه لأمره بالاعتكاف الشرعي في رمضان في المسجد، ثم نرى الخضر يعرض نفسه على الخواص ليصحبه فيأبى، ثم يماشي الحنفي تابعا له، ثم يعلم ابن الحواري رقية مخالفة لهدي النبي ﷺ. إن حياة الخضر إلى اليوم ليست موضوعا ثانويا في الفكر الصوفي، بحيث لا يضر الصوفي التصديق بها أو إنكارها، بل لقد أصبحت في حقيقة الأمر عمود الرحى الذي تدور حوله مجموعة من الأفكار، أصبحت تمثل حزمة من المبادئ المترابطة، لا يُقبل أن يؤمن الصوفي ببعضها ويكفر ببعض، فمجرد رد الصوفي لموضوع واحد ينفرط عقد الفكر الصوفي بالكلية.

الفصل الرابع

القول المبين
في حياة الخضر

١- الدليل من القرآن الكريم
٢- الدليل من السنة المطهرة
٣- إجماع المحققين من علماء الأمة
٤- الدليل من المعقول
٥- من المرئي في قصص لقاء الخضر؟

الفصل الرابع: القول المبين في حياة الخضر

ذكرنا في الفصل السابق بعضا من الأقوال التي راجت في الكتب، واشتهرت عن حياة الخضر عليه السلام وطولها وامتدادها من بنوته لآدم عليه السلام وحتى يكذب الدجال، وهذه الأسطورة لو كانت صحيحة لكانت حياته من أعظم الآيات والعجائب، فالله تبارك وتعالى ذكر أن رسالة نوح عليه السلام بلغت ألف سنة إلا خمسين عاما، وجعلها آية، فكيف لا يذكر من استحياه آلاف السنين، وفي ذلك آية من أعظم آيات الربوبية.

نناقش فيما يلي قضية حياة الخضر عليه السلام ونعرض بتوفيق الله تعالى فيما يلي الأدلة التى تقطع الشك باليقين في قضية حياة الخضر عليه السلام:-

أولا: الدليل من القرآن الكريم

* أن الذين يزعمون حياة الخضر عليه السلام يقولون على الله بغير علم، ويحذرنا الحق تبارك وتعالى بقوله ﴿أم تقولون على الله مالا تعلمون﴾،[1]

وقوله: ﴿وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾[2]، وكذلك قوله: ﴿أتقولون على الله مالا تعلمون﴾.[3] فلو كان الخضر عليه السلام حيا لثبت ذلك بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فهذا كتاب الله تعالى فأين حياة الخضر فيه أو غيره من البشر والآية القرآنية تقرر ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾[4]، فإن كان الخضر عليه السلام بشرا فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه بالخلود إلا بدليل صحيح.

* قال تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري، قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.[5] عن علي بن أبي طالب قال: "لم يبعث الله ﷺ نبيا: آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره

---

١ سورة البقرة آية ٨٠

٢ سورة البقرة آية ١٦٩

٣ سورة الأعراف آيه ٢٨

٤ سورة الأنبياء آية ٣٤

٥ سورة آل عمران آية ٨١

فيأخذ العهد على قومه".[1]

فالخضر إما نبي فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيا في زمن نبي الله ﷺ لكان أشرف أحواله الوفاء بعهد الله، وأن يأتي مبايعا لرسول الله ﷺ مؤمنا بما أنزل الله عليه وناصرا له ومؤيدا، وهذا موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل وكليم الله لو كان حيا في زمن سيدنا رسول الله ﷺ ما تأخر لحظة، ففي الحديث الشريف ﴿لقد جئتكم بها بيضاء نقية، أما والله لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي﴾،[2] وفي رواية أخرى ﴿والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني﴾".[3]

وطالما لم يبايع الخضر عليه السلام سيدنا محمدا ﷺ فهو إما أن يكون ليس بنبي وبالتالي غير مكلف بالبيعة أو أن يكون قد ذاق الموت لقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[4] شأنه في ذلك شأن كل البشر.

---

١ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير آل عمران ٢٣٦:٣

٢ زاد المسير في علم التفسير ٤١٦:١

٣ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٢٣٣:٣

٤ سورة آل عمران آية ١٨٥

ثانيا: الدليل من السنة المطهرة

هذه سنة رسول الله ﷺ فأين النص على حياته وخلوده، وقد استعرضنا الروايات الموضوعة فما وجدنا فيها حديثا واحدا يرقى إلى درجة الحديث الحسن، وكل ما ورد أشبه بالحكايات والقصص الخيالية لا ينبغي أن تروى إلا على سبيل التعجب!

* اتفق الشيخان البخاري ومسلم في تخريج حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ﴿صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد﴾.[1] وفي رواية "لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو اليوم حي"[2]، وفي رواية ثالثة: ﴿أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد﴾.[3] وفي رواية رابعة أن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته بشهر أو نحو ذلك ﴿ما من (ما منكم من) نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ﴾[4]

ويروي جابر بن عبدالله أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بشهر يقول: ﴿تسألونني عن الساعة وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة﴾.[5]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة فقال النبي ﷺ: ﴿لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم﴾.[6]

يعلق ابن الجوزي قائلا "هذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر".

ونقول لقد أثبتنا بطلان دعوى حياة الخضر ولقائه النبي ﷺ وبفرض أنه عاش حتى عصر النبوة فإن هذه الأحاديث تقرر أنه لم يعش بعد مائة سنة من وفاة النبي ﷺ أحد كان حيا وقت قول النبي ﷺ. وقد توفي آخر الصحابة أبو الطفيل عامر بن واثلة عام ١١٠ هـ.

---

١ أخرجه البخاري حديث ١١٣، ومسلم حديث ٢٥٣٧، وأبو داود حديث ٤٣٤٨، وأحمد في مسنده أحاديث ٢:٨٨، ١٢١، ٢:١٣١

٢ أنفرد به أحمد حديث ٦٧٦، ١١٢٦

٣ رواه أحمد في مسند جابر بن عبدالله، والبخاري ٥٦٦

٤ رواه أحمد في مسند جابر بن عبدالله، ومسلم حديث ٤٦٠٧

٥ رواه أحمد ٣:٣٢٢، ٣٢٦، ٣٤٥، ٣٨٤، ومسلم حديث ٤٦٠٦

٦ انفرد به مسلم ٤٦٠٨

* قولهم الخضر ولي وليس بنبي: نقول الخضر لو كان وليا، فهو إذن صحابي أو تابعي لنبي سبقه، وبالتالي بلغه أمر نبيه بوجوب بيعة النبي الخاتم ﷺ. فما الذي حجبه عن النبي حتى يخاطبه من خلال أنس رضي الله عنه، يبقى أن يقولوا أنه ولي وغير مكلف بالبيعة، نقول إذا فاتته البيعة فلم إصراره على عدم الصحبة.

إن الصديق أبا بكر أفضل البشر بعد النبي ﷺ وهذا ما يقرره الحديث الشريف: ﴿ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق ﴾،[1] فكيف يتخلف الخضر عن شرف صحبة رسول الله وآله والمهاجرين والأنصار؟!.

وأين كان الخضر يوم بدر ورسول الله ﷺ يناشد ربه قائلا: ﴿اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله قد ألححت على ربك ﴾".[2]

وفي رواية ﴿اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض بعد اليوم ﴾، لقد قاتل المؤمنون يوم بدر وشارك معهم جبريل عليه السلام، فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: ﴿هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب ﴾.[3]

فلو كان الخضر عليه السلام حيا لكان شهوده يوم بدر أرجى أعماله عند ربه، فهذا جبريل عليه السلام يسأل رسول الله ﷺ قائلا ﴿ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة ﴾.[4] وفي رواية قال: ﴿خيارنا ﴾.[5]

وقد قيل إن أفخر بيت قالته العرب ما قاله حسان بن ثابت في قصيدة له يقول فيه،

وثبير[6] بدر إذ يرد وجوههم   جبريل تحت لوائنا ومحمد

يقول أبو الفرج بن الجوزي "فلو كان الخضر عليه السلام حيا لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته".[7]

---

١ رواه ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٣٣٩:٤

٢ أخرجه البخاري حديث ٢٦٩٩، ٣٦٥٩

٣ أخرجه البخاري حديث ٣٦٩٤

٤ أخرجه البخاري حديث ٣٩٦٢

٥ مسند أحمد وابن ماجة عن رافع بن خديج، قال ابن الجوزي: إنما هو رافع بن رفاعة الزرقي.

٦ ثبير اسم جبل بظاهر مكة

٧ كتاب عجالة المنتظر في شرح حال الخضر لابن الجوزي نقلا عن ابن كثير في البداية والنهاية ٣١٢:١

ويعلق شيخ الإسلام ابن تيمية على قول الصوفية: "الخضر نقيب الأولياء"، بقوله: " من ولاه النقابة، وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ وليس فيهم الخضر، وعامة ما يُحْكَى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب، وبعضها مبني على ظن رجل: مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر، فقال إنه الخضر، وكما أن الرافضة ترى شخصا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم، أو تدعي ذلك، وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: "من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان".[1]

هذه الأحاديث تجعلنا نطمئن إلى موت الخضر عليه السلام في زمن موسى عليه السلام أو بعده بقليل، أما أن يكون حيا ويتخلف عن بدر وأحد وسائر غزوات النبي ﷺ لنصرة دين الله ﷺ فهذا ما لا يقبله عقل ولا يستريح إليه بال، فإن قيل إنه كان حاضرا في هذه المشاهد كلها ولم يره أحد، نقول إن هذا الزعم يخرجه عن بشريته ويجعله ملكا أو من الجن، فإن قيل إنه بشر لا يراه الناس، نقول إن هذا تخصيص لا دليل عليه ووهم لمجرد الجدال والمراء، ثم ما هي فائدة الاختفاء بينما ظهوره أعظم لأجره، وأظهر لمعجزته، وأعلى لقدره ومرتبته، ثم أليس أهل بدر أعلى مقاما من فتى موسى عليه السلام ومن أصحاب السفينة وأهل القرية؟ وكيف يحتجب عن أصحاب رسول الله ﷺ ويراه هؤلاء؟.

١ الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧ : ١٠٢

ثالثا: إجماع المحققين من علماء الأمة

أما إجماع المحققين من علماء الأمة وسلفها الصالح، فلم يقل الصحابة والتابعون وأئمة الفقه والمحدثون بحياة الخضر أو لقائه أو خلوده وإنما دارت أقوالهم حول تكذيب ذلك ونفي خلوده فيقولون:-

١- يقول ابن عساكر: وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدا لا يقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد.[١]

٢- قال ابن المنادي: "بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا؟ فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روي في ذلك، قال: والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية، والسند إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم، قال: وما عدا ذلك كله من الأخبار كلها لا يخلو حالها من أحد أمرين إما أن تكون أُدْخِلَت على الثقات استغفالا أو يكون بعضهم تعمد ذلك".[٢]

٣- وأبو الفرج بن الجوزي يقول: "والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول"، ويقول أيضا: "وجميع الأخبار في ذكر الخضر واهية الصدور والأَعْجَاز لا تخلو من أمرين: إما أن تكون أُدْخِلَت بين حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالا، وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرَوَوْها على جهة التعجب فنسبت إليهم على وجه التحقيق، قال وأكثر المغفلين مغرور بأن الخضر باق والتخليد لا يكون لبشر".[٣]

٤- ذُكر عن البخاري، وعلي بن موسى الرضا: "أن الخضر مات، وأن البخاري سُئل عن حياته فقال: وكيف يكون ذلك؟ وقد قال النبي ﷺ: ﴿أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد﴾.

٥- وممن قال إن الخضر مات: إبراهيم بن إسحق الحربي، وأبو الحسين بن المنادي وهما إمامان، وسئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق؟ فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان، وكان ابن المنادي يقبح قول من يقول

---

١ ابن عساكر في تاريخ دمشق

٢ ابن عساكر في تاريخ دمشق

٣ ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى ١٩٩:١

إنه حي".[1]

٦- وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد.[2]

٧- ويحسم شيخ الإسلام ابن تيمية الأمر بقوله: "والصواب الذي عليه المحققون أنه (الخضر) ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيا عن خير أمة أخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم"... وإذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك قط، ولا أخبر به أمته، ولا خلفاؤه الراشدون؟

٨- ويقرر السيوطي أن كل ما ورد في شأن الخضر وحياته موضوع لا أصل له[3]

---

١ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية صفحة ١٣١

٢ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية صفحة ١٣١

٣ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦٤:٥

رابعا: الدليل من المعقول

* سبق أن ناقشنا بالتفصيل الزعم عن حياة الخضر ونوجز الحديث هنا أن القول بحياته ومعاصرته النبي ﷺ ولا يأتيه مبايعا على رؤوس الأشهاد، بحيث يصل إلينا الخبر متواترا صريحا لا لبس فيه، ينطوي على إساءة بالغة للخضر عليه السلام، حيث أن ظهوره ومساندته لدعوة رسول الله ﷺ تجعل أهل الكتاب يدخلون في دين الله أفواجا، فالخضر عليه السلام بزعمهم عاصر جميع أنبياء بني إسرائيل بدءا من موسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيي وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام وبذلك فهو شاهد عيان على التحريف والغلو والتفريط الذي حدث في الرسالات السابقة، فظهوره ومبايعته للنبي ﷺ يجعله قادرا على تصحيح التوراة والإنجيل وتطهيرهما من دنس التبديل والتغيير، وبالتالي يرون الحق ولا يختلفون فيه، وهل يقبل المنطق الإيماني أن يتأخر الخضر عليه السلام عن هذه المهمة، ويستبدلها بصحبة الخَوّاص والجيلاني.

*: لو كان الخضر عليه السلام باقيا إلى الآن لكان تبليغه الأحاديث النبوية الصحيحة، وإنكاره للأخبار الواهية والموضوعة، وبيانه لما فسد من البدع والشيع والأهواء، وقتاله مع المسلمين ضد عدوهم، وشهوده الجمع والجماعات، وتسديده لأراء العلماء ونصحه للحكام، وتقريره للأدلة وما يستجد من أحكام أفضل من إختفائه عن العيون، واجتماعه بمن لا يعرف حالهم، فقارن يا أخي المسلم بين ما ينتظر الخضر عليه السلام من مهام لو كان حيا وبين المهام التى افتراها القائلون بحياته.

خامسا: من المرئي في قصص لقاء الخضر؟

لابد من تفسير واضح لكل من يقول: جاءني الخضر أو شاهدته يقظة لا مناما، هل يكذب هؤلاء الناس مع أنهم يصلون ويتعبدون ومنهم من يكثر من النوافل؟، ومن الذي يأتيهم مع أن الخضر عليه السلام مات منذ أمد بعيد؟

ويجيب على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى بقوله: "والخضر الذي يأتي كثيرا من الناس إنما هو جني تصور بصورة إنسي، أو إنسي كذاب، ولا يجوز أن يكون ملَكا مع قوله أنه الخضر. فإن المَلَك لا يكذب، وإنما يكذب الجني والإنسي، وأنا أعرف ممن أتاه الخضر وكان جنيا، لُبس على من يراه. - وفي المجلد ٢٧ يقول: "وكذلك الذين يرون الخضر أحيانا هو جني رآه، وقد رآه غير واحد ممن أعرفه، وقال أنني الخضر، وكان ذلك جنيا لُبِسَ على المسلمين الذين رأوه".[١]

ويزيد ابن تيمية الأمر إيضاحا بقوله: "ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو مَلَك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لمَّا أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل الأصنام وتكلم المشركين، ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان، ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون ويرد الودائع، ويفعل أشياء تتعلق بالميت."

ويستطرد قائلا: "وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة، هم درجات، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم، فالجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنسي كافرا أو فاسقا أو جاهلا دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل الاقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم."[٢]

ويعلق الألوسي البغدادي في روح المعاني تعليقا طيبا يقول فيه: "إن غاية ما يتمسك به

---

١ ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٢٤٩:١ ، ١٨:٢٧

٢ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢٨٧:١١

القائلون بحياة الخضر حكايات منقولة يخبر بها الرجل أنه رأى الخضر، فهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟، وكيف له أن يغتر بقول الأشباح والأطياف: أنا الخضر ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى، فمن أين للرائي أن المُخبر له صادق ولا يكذب؟، وكيف يستسيغ العقل والقلب السليم أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن عليهما الصلاة والسلام ولم يصاحبه، وقال هذا فراق بيني وبينك، ثم يرضى لنفسه بمفارقة موسى عليه السلام، ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم، وكل منهم يقول: قال لي الخضر وأوصاني الخضر، فيا عجبا له يفارق الكليم ويدور على صحبة جاهل لا يصحبه إلا شيطان رجيم، سبحانك هذا بهتان عظيم".[1]

وخلاصة القول أن من يدعي صحبة الخضر والاجتماع به في اليقظة إما جاهل أو مبتدع في الدين، وليحذر المسلمون من هذا الصنف من الناس الذين يدَّعون الولاية، ويلتفون في حلق الذكر، لا يذكرون الله بتلاوة القرآن أو تعلم العلم النافع كما أمرهم، وإنما يتمايلون ويتراقصون ويبتدعون طرقا ما أنزل الله بها من سلطان.

---

١ الألوسي في تفسير روح المعاني ٥:٣٢٦

ملخص الباب الأول

* العبد الصالح هو الخَضِر عليه السلام، وكنيته أبو العباس. ولا يتوفر دليل تستقر عليه القلوب يحدد نسب الخضر، وكل ما قيل في هذا الأمر لا يصح منه شيء.

* حياة الخضر لا تختلف عن غيره من الناس، ولا يصح كل ما روي عن امتداد حياته إلى الآن أو إلى يوم القيامة، ولسنا ممن يترك أدلة القرآن الكريم وصحيح السنة ونصدق خرافات عين الحياة وغيرها من تخاريف العجائز.

* نقول كما يقول أبو الفرج بن الجوزي والدليل على وفاته: الكتاب والسنة وإجماع المحققين من علماء الأمة وسلفها الصالح والمعقول، وهؤلاء جميعا ينفون جميعا أي اختصاص لحياته على غيره من بني آدم.

* قد يرى المرء الجن في اليقظة وربما تمثل له ذلك الجني في صورة حسنة قائلا: أنا الخضر، أو قد يرى في منامه رجلا في هيئة طيبة فيتمنى في نفسه أن يكون ما يشاهده هو الخضر ﷺ فتسول له نفسه أو يُلقي الشيطان في أمنيته أنه قد رأى الخضر وربما يقول لهم ذلك الشيطان أو الرجل ذو الهيئة الصالحة أنه الخضر، فينسبون ذلك إلى الخضر وهو من ذلك بريء.

* إن مزاعم الفرق الباطنية عن اجتماعهم بالخضر أو أخذهم عنه هي من جنس مزاعم الصوفية وكلها من تلبيس إبليس.

الباب الثاني

مهمة الخضر

١- تمهيد وتعريف

٢- المعجزة والكرامة

٣- مهمة الخضر

٤- دلائل نبوة الخضر

الفصل الأول

تمهيد وتعريف

١- تعريف الرسالة

٢- تعريف النبوة

٣- تعريف الولاية

* الأولياء في القرآن

* الأولياء في السنة

الفصل الأول: تمهيد وتعريف

إذا أردنا أن نتعرف على مهمة الخضر عليه السلام، وما هي مكانته عند ربه، وهل هو رسول أم نبي أم ولي، نحتاج قبل أن نعرض أقوال علماء الأمة في هذه القضية إلى أن نتعرف على مراتب البشر بين يدي الله والتفاضل بين درجاتهم، بهدف بيان فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم والإتفاق على الأسس التي تساعد على تضييق الخلاف.

إن أشرف مقامات العباد عند الله ﷺ هو المقام المحمود المعروف بالوسيلة الذي أعده الله تبارك وتعالى لسيدنا محمد ولا ينبغي إلا له. ثم يأتي مقام أولي العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام.

ثم تأتي منزلة الرسل والأنبياء، ثم مرتبة عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين، وينبغي ألا يشذ أحد من المسلمين في فهمه هذا عن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالإيمان الحق لا يتم إلا بالإيمان بالرسل والكتب التي جاءوا بها من عند الله، لذلك نعرض فيما يلي الفارق بين مقام الرسالة والنبوة والولاية حتى نستطيع الإجابة - في الفصل التالي - على سؤال محدد عن مهمة الخضر عليه السلام، هل هو ملك من الملائكة أم رسول أم نبي أم ولي من الأولياء لا يرقى لمرتبة النبي؟ نقول وبالله التوفيق:-

أولا: تعريف الرسالة

الرسول: معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول، أي ذو رسالة.[1]

ورسالة الرسول: دعوته الناس إلى ما أوحي إليه، ورسالة المُصلح: ما يتوخاه من وجوه الإصلاح.[2]

١- الرسالة اسم عام يشترك فيه الملائكة:

قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ [3] فالملائكة رسل يرسلهم الله ﷻ بأمره إلى عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل

---

١ معجم لسان العرب لابن منظور

٢ المعجم الوجيز

٣ سورة الحج آية ٧٥

الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾.[1]

٢- والرسالة قد تأتي بمعنى التسليط والتقييض، كما يرسل الله تبارك وتعالى الشياطين على الكافرين تزيدهم ضلالا على ضلال:

قال تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾.[2]

٣- وأشرف أنواع الإرسال أن يبعث الله ﷻ بشرا رسولا يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الصفات اللازمة للأنبياء والمرسلين أن يتصفوا "بالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة"، ولا يشترط في الرسول أن يأتي قومه بشريعة جديدة، والدليل على ذلك، أن يوسف عليه السلام كان رسولا أرسله الله تبارك وتعالى في أهل مصر على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لقومه: ﴿واتبعت ملة آباءي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾.[3] وقررت الآيات الكريمات رسالة يوسف عليه السلام في قول الحق تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به، حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾.[4] فالرسول مهمته البلاغ عن ربه وبيان سبيل الهدى وطريق الرشاد، وتفصيل أصول الدين وتوضيح أحكامه وأوامره ونواهيه التي يرحم الله بها الطائعين، وتقوم بها الحجة على الكافرين والمعاندين، وقد أطلعنا القرآن الكريم على قصص عدد من الرسل، ولم يخبرنا بآخرين، قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾.[5]

ثانيا: تعريف النبوة

النبوة: اسم مشتق من أَنْبَأَ فلان غيره يُنْبِئُهُ إِنْبَاءً إذا أخبره بخبر ذي شأن، والأنبياء جمع نبي وهو ذَكَرٌ من بني آدم أوحى الله تعالى إليه بأمر، والوحي هو وسيلة الإنباء، والنبي يتلقى وحي ربه بعدة طرق حصرتها الآية الكريمة حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وما كان

---

١ سورة فاطر آية ١

٢ سورة مريم آية ٨٣

٣ سورة يوسف آية ٣٨

٤ سورة غافر آية ٣٤

٥ سورة غافر آية ٧٨

لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾.[1]
فالوحي ينحصر في هذه الطرق الثلاث:-

الطريقة الأولى: أن يلقى روح القدس في قلب النبي، أو ينفث في روعه، دون أن يراه، والروع القلب والعقل والذهن والخلد، ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب﴾ وفي رواية: ﴿إن روح الأمين نفث في روعي﴾. والمُرَوَّعُ في اللغة هو المُلْهَم الذي يلقى في قلبه الصواب والصدق.

والنفث يقع للنبي في يقظته ومنامه، فمن الثابت أن رؤيا الأنبياء حق، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ﴿الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين من النبوة﴾.[2]

الطريقة الثانية: هي الخطاب من وراء حجاب، كأن يسمع موسى كلام الله في البقعة المباركة من الوادي المقدس، أو من وراء حجاب الشجرة أو النار قال تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾.[3] فجاء خطاب الحق تبارك وتعالى من حجاب الشجرة في البقعة المباركة من الوادي، وأيضا سماع رسول الله ﷺ خطاب ربه في المعراج، حين وصل إلى نهاية معراجه، حيث دنا أمين الوحي جبريل عليه السلام فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فشاهد رسول الله ﷺ أمين الوحي على هيئته وصورته التي خلقه الله عليها، حيث يقول القرآن الكريم: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى﴾.[4] ثم خاطبه ربه من وراء حجب الكبرياء والعظمة، وأمره بالصلاة وفرضها على أمته.

---

١ سورة الشورى آية ٥١

٢ الرؤيا الصالحة (وفي رواية الحسنة) جزء من أربعين جزءا من النبوة، هكذا ورد عن جابر بن عبدالله في رواية أحمد والترمذي، وأخرج مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ وأحمد في مسنده وغيره من رواية أبي هريرة جزء من ست وأربعين، كما وردت أقوال أخري في رواية عبادة بن الصامت وابن عمر وابن عمرو وابن عباس وأنس. راجع الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد ٢١٠:١٧

٣ سورة القصص آية ٣٠

٤ سورة النجم آية ١٣ - ١٥

الطريقة الثالثة: أن يرسل الله ﷻ أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام رسولا منه سبحانه وتعالى إلى النبي، يبلغه بمراد ربه ومنهج عبادته، سواء خلت نبوته من المعجزة أو تحدى النبي قومه بمعجزة تقوم مقام قول الحق تبارك وتعالى: "صدق عبدي فيما أنبأ عني"، ولا توجد طريقة أخرى يمكن إضافتها لهذه الطرق، وهذا المعنى واضح تماما في أسلوب الحصر الذي عبرت به الآية القرآنية: ﴿ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾.

الفرق بين النبي والرسول

ذهبت المعتزلة إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول، والقرآن والسنة يؤكدان الفرق بينهما، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾.[1] ولو كان النبي والرسول درجة واحدة ما جاء الخطاب بما يقتضي المغايرة.

كما أكد حديث البراء بن عازب الذي رواه البخاري الفرق بينهما حيث قال رسول الله ﷺ للبراء: ﴿إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول، قلت:[2] أستذكرهن وبرسولك الذي أرسلت قال: لا وبنبيك الذي أرسلت﴾.[3] فلو كان النبي والرسول مقاما واحدا ما أكد رسول الله ﷺ على ذلك، لذا اجتهد العلماء في بيان الفرق بين النبي والرسول فقالوا:

١- أن الرسول أُمر بتبليغ الوحي إلى الناس، والنبي لم يؤمر بتبليغه، وهذا يعارض الحديث الصحيح الذي رواه مسلم حيث يقول رسول الله ﷺ: ﴿إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم﴾.[4] وأيضا يناقض مهمة التبليغ التي هي صفة لازمة للأنبياء، ولا يعقل أن يكون الوحي محجوبا عند

---

١ سورة الحج آية ٥٢

٢ أي البراء بن عازب

٣ رواه البخاري في كتاب الدعوات من حديث البراء رقم ٥٨٣٦

٤ صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ٢٣٢:١٢

النبي، ولا ينتفع به قومه.

٢- يرى كثير من العلماء أن الفرق بين النبي والرسول هو: "أن الرسول هو من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله".[١]

٣- "أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله.

٤- أن الرسول صاحب معجزة وكتاب، وشرع نسخ ما قبله، ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخصال فهو النبي.

٥- أن من جاءه المَلَك ظاهرا، وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه نبيا، أو أخبره أحد من الرسل بأنه نبي، فهو النبي".[٢]

ويفرق شيخ الإسلام ابن تيمية بين العبد الرسول والمَلِك النبي بقوله: "خير الله سبحانه محمدا ﷺ بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا مَلِكا، فاختار أن يكون عبدا رسولا، فالنبي الملك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قال رب اغفر لي، وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب، فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾.[٣] أي أعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك، فالنبي الملك يفعل ما فرض الله عليه، ويترك ما حرم الله عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحب ويختار من غير إثم عليه، أما العبد الرسول فلا يعطي أحدا إلا بأمر ربه، ولا يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء بل روي عنه ﷺ أنه قال: ﴿إني والله لا أعطي أحدا ولا أمنع أحدا، إنما أنا قاسم أضع حيث أُمرت﴾. والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملك".[٤]

---

١ روح المعاني للألوسي البغدادي ١٧ :١٥٧

٢ التفسير الكبير للفخر الرازي ٤٩:٢٣

٣ سورة ص الآيات ٣٥ - ٣٩

٤ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٨٠:١١ - ١٨٢

ثالثا: تعريف الولاية

الولي في اللغة هو الناصر والمعين، وولي اليتيم من يتولى أمره ويقوم بكفايته وكفالته، والولي الصديق والنصير، والوَلْيُ القرب والدنو، والمولى الصاحب والقريب، والولاية في الدين وصف لأهل الإيمان والتقوى، والولاية هي أرفع منازل أهل اليمين، وهي مقام أهل الإحسان الذين يراقبون الله ﷻ ويخافون عذابه ويرجون رحمته، والولاية الحقيقية هي في الاستقامة مع الإخلاص وصدق المتابعة، قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾.[1]

والولي محب لله ﷻ متبع لرسوله ﷺ. ناصر ونصير لشرع ربه، مجاهد لأعداء الله بنفسه وماله، وخاذل للشيطان وحزبه، ومالك لنفسه جامح لهواها، فهو القريب لمولاه.

فالولي ينتصر لله ورسوله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، فهو عبد تقي نقي يخلص في طاعة مولاه ويعبده على بصيرة وعلم، ويخشى ربه وعذابه، ويرجو رحمته وثوابه، يتلمس رضا مولاه، لا يحيد عن سنة رسول الله ﷺ حبب الله إليه الإيمان حتى تمكنت شعبه في قلبه، يكره المعصية كراهيته للشرك والكفر.

وقد اتفق سلف الأمة وعلماؤها أن الأنبياء أفضل من الأولياء مطلقا، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا فريق من الصوفية والباطنية، فقالوا إن الولاية أفضل من النبوة، وهذا شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي يقول نظما:

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول ودون الولي

ولبيان الفرق بين مقام النبي ومقام الولي، لابد أن نستعرض أحوال الأولياء في الكتاب والسنة، فقد ضرب القرآن الكريم أمثلة للأولياء، كما عرفنا رسول الله ﷺ أشرف أولياء الأمة الإسلامية، نعرض هذه الأمثلة فيما يلي.

---

١ سورة يونس آية ٦٢ - ٦٤

الأولياء في القرآن

يصف لنا القرآن الكريم مقام الولاية، وما يتحلى به الولي من سمات، وكيف يجعل الله له من كل ضيق فرجا ويرزقه من حيث لايحتسب، ومن أمثلة الأولياء نختار منها:-

* آصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾[1]. يقرر القرآن الكريم حقيقة هذه المعجزة التي جرت لسليمان عليه السلام على يد أحد أتباعه، إنما هو الفهم والعلم الذي ناله آصف من الكتاب، وذلك قوله تعالى: ﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾. فما كان الرجل مبتدعا في دين الله ولا خارجا عن المنهاج الذي أنزله الله تبارك وتعالى على داود وسليمان عليهما السلام، ولعل سليمان عليه السلام أراد أن يظهر فهم آصف بين أتباعه من الجن والإنس حين طلب منهم إحضار عرش بلقيس ، والله أعلم.

* أم موسى عليهما السلام، التي صرح القرآن الكريم بأنها تلقت وحيا عن ربها، قال تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين﴾.[2] وفي آية أخرى: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم، فليلقه اليم بالساحل﴾.[3]

هذه آيات مباركات تنص صراحة على أن أم موسى تلقت الوحي عن الله، ولما بدأت في تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى وألقت رضيعها في النهر، سارعت إليها العناية الإلهية، وجاءها مدد من الله يربط على قلبها.

* مريم ابنة عمران رضوان الله عليها، التى خاطبتها الملائكة عدة مرات منها قوله تعالى ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾[4] وقوله تعالى: ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.[5]

---

١ سورة النمل آية ٤٠

٢ سورة القصص آية ٧

٣ سورة طه آية ٣٨ - ٣٩

٤ سورة آل عمران آية ٤٢

٥ سورة آل عمران آية ٤٥

وقوله عز من قائل: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾[1] ولا نعرف اسما لخطاب الملائكة إلى مريم إلا الوحي.

* ذو القرنين الذي مكنه الله تبارك وتعالى في الأرض وآتاه من كل شيء سببا، ومن ولايته لربه أن أوحى الله إليه: ﴿قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾.[2] وهنا يختار ذو القرنين تطبيق منهج الله ﷻ فمن ظَلَم وأَفْسَد يُقام عليه حد ربه، وأما من أحسن فله الجزاء الكريم، فالولي لا يرتاح قلبه إلا بتطبيق الشريعة والوقوف عند حدودها.

كما أن نصرة الضعيف ومساندته، ودفع بغي الجبابرة من شيم الصالحين، لذلك بادر ذو القرنين إلى بناء سد يحول بين المفسدين وهجماتهم البربرية على الضعفاء.

إن أمثلة الولاية في القرآن الكريم تشرح لنا أحوالهم: فهذا ينقل عرش بلقيس من اليمن إلى نبي الله سليمان عليه السلام، وأم موسى تلقي بوليدها في اليم، ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها تلد من غير أب، وذو القرنين يبني سدا، ويقيم حدود الله في قوم آخرين، ومع هذا لا يزعم أحد بنبوة هؤلاء!

---

١ سورة مريم ٢٥

٢ سورة الكهف آية ٨٦ ، ٨٧

الأولياء في السنة

وتعرفنا سنة النبي ﷺ أولياء الأمة وترتيبهم:

* أولهم الصديق رضي الله عنه، صاحب النبي ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار الذي نصر الله به الدين وحفظه، قال عنه رسول الله ﷺ: ﴿ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر﴾.[1] وهذا رسول الله ﷺ يطلب من عائشة رضي الله عنها استدعاء أبي بكر وهو في مرض الموت يقول ﷺ: ﴿ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر﴾.[2] ويصف رسول الله ﷺ منزلة أبي بكر رضي الله عنه بقوله: ﴿إن مِن أَمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته﴾.[3]

* ثاني الأولياء الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ الذي أعز الله به الدين وحازت مناقبه على كل سبق وكمال، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:

﴿أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة (وفي رواية وشبابها) من الأولين والآخرين ما خلا (وفي رواية بعد) النبيين والمرسلين﴾.[4]

من مناقب الفاروق ما يُروى عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر﴾ وفي رواية أخرى: ﴿لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمُون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من

---

١ رواه أبو الدرداء وعلي بن أبي طالب، وأخرجه الذهبي والدارقطني والسمان في الموافقة نقلا عن الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ١٣٦:١، الفتاوى الكبرى ابن تيمية ٣٣٩:٤ ، ٢٢١:١١.

٢ رواه مسلم في مناقب الصديق حديث عائشة رقم ٤٣٩٩

٣ متفق عليه: رواه البخاري في المناقب من حديث أبي سعيد الخدري ٣٣٨١، ورواه مسلم في مناقب الصديق (٢٣٨٢)، والترمذي في المناقب ٣٦٦٠، وأحمد في مسنده ١٨:٣، والدارمي في المقدمة ٧٧

٤ أخرجه الترمذي ٣٦٦٥، ٣٦٦٦ من حديث علي بن أبي طالب، وابن ماجة ٩٥ وأخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائده على المسند ٨٠:١ حديث رقم ٦٠٢

أمتي منهم أحد فعمر ﴾.[1] وفي رواية أبي سعيد الخدري قال: وكيف يحدث؟ قال رسول الله ﷺ: ﴿تتكلم الملائكة على لسانه ﴾.[2] ويشرح الحافظ ابن حجر معنى المُحَدَّث بقوله "الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به، وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وفي حديث عائشة رضي الله عنها "المحدث الملهم بالصواب" وفي رواية مسلم "هي الإصابة من غير نبوة"، قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله وضع الحق (وفي رواية جعل الحق) على لسان عمر يقول به (وفي رواية) على لسان عمر وقلبه ﴾.[3]

وقد بلغت موافقات الوحي لآراء عمر رضي الله عنه أكثر من عشرة مواقف، ما بين موافقات لفظية أو معنوية منها، نظمها السيوطي في قصيدة،[4] منها ما جاء في أسارى بدر وفي تحريم الخمر، ورفض صلاة الجنازة على المنافقين، وغيرته على نساء رسول الله ﷺ بخلاف ما ورد على لسان عمر نفسه حيث يقول "وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن قلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسول الله ﷺ خيرا منكن حتى أتيت إحدى نسائه قالت يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات ﴾ الآية[5]".[6]

---

١ رواه البخاري في المناقب ٣٤١٣ ، وأحمد ٣٩٩:٢

٢ رواه البخاري في مناقب عمر ٣٩:٨ فتح الباري

٣ رواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي ذر ٣٣٥:٢

٤ الحاوي للفتاوي للسيوطي ١١٣، قطف الثمر في موافقات عمر

٥ سورة التحريم آية ٥

٦ رواه البخاري في تفسير القرآن حديث أنس ٤١٢٣ ، ورواه مسلم فضائل الصحابة (٢٣٩٩) ، الترمذي تفسير القرآن ٢٩٥٩ ٢٩٦٠ ، وابن ماجة في الإقامة ١٠٠٩ ، وأحمد ٢٣:١ ، والدارمي في المناسك ١٨٤٩

ولا شك أن شهادة رسول الله ﷺ التي يقول فيها: ﴿يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك﴾.[1] هي أعظم دليل على منزلة ولي الله الفاروق عمر بن الخطاب ومكانته، فالصواب يجري على لسانه والشيطان يسير في واد ليس فيه عمر، ومع هذا لا ينقص من ولايته لله ﷻ أن تصيب امرأة ويخطيء المحدث، فالعصمة لا تكون إلا لنبي.

إن أعلى الأولياء قدرا بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، حيث صح عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين﴾.[2] هذا الحديث يؤكد أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أعلى الأولياء قدرا ليس على مستوى أمة الإسلام وإنما سيدا أولياء الأولين والآخرين، ومنهم: آصف وأم موسى ومريم وذو القرنين رضي الله عليهم أجمعين، ومع هذا لم ينل أي منهم مرتبة النبوة. فلابد إذن من بيان الفرق الجوهري بين النبي والولي؟، حتى نستطيع أن نعرف مهمة الخضر عليه السلام، وهذا الفرق يتعلق بنوع الخوارق التي تفصل بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وهذا ما سنناقشه بإذن الله تعالى في الفصل التالي.

---

١ رواه البخاري في المناقب من حديث سعد رقم ٣٤٠٧ رواه مسلم في فضائل الصحابة حديث (٢٣٩٦) رواه أحمد في مسنده ١٧٢:١، ١٨٢، ١٨٧

٢ روي عن علي بن أبي طالب، وأنس وأبي جحيفة رضي الله عنهما، وأخرجه الترمذي في المناقب ٣٦٦٥، ٣٦٦٦ وحسنه، وفي الباب عن ابن عباس، ورواه أحمد في مسنده ٨٠:١ حديث رقم ٦٠٣ ، وابن ماجة حديث ٩٥ ، ١٠٠

الفصل الثاني

المعجزة والكرامة

١- أنواع الخوارق
٢- مناقشة الخوارق
٣- الكرامة لها أصل في المعجزة
٤- الآيات والمعجزات
٥- الأنبياء والأولياء

الفصل الثاني: المعجزة والكرامة

أولا: أنواع الخوارق

يمكن تقسيم ما يظهر على الخلق من الأمور الخارقة للعادة إلى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: آيات الأنبياء ومعجزاتهم: والمعجزة، والإعجاز: إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير، وهي خاصة بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دون غيرهم من الناس وهي تقوم مقام قول الله تبارك وتعالى: "صدق عبدي فيما بلَّغ عني". والمعجزة يتحدى بها النبي لنشر الدين، ويُثَبِّت بها أصحابه في الدين، ومن ذلك: "القرآن الكريم، والإسراء والمعراج، وبعثته إلى الإنس والجن".

ومنها ما يتحدى المشركين كإنشقاق القمر، ومنها ما يحقق حاجة المسلمين، كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ

المرتبة الثانية: كرامات الصالحين أتباع الأنبياء والمرسلين، والكرامة: عمل خارق للعادة يجريه الحق تبارك وتعالى على يدي وليه التقي الصالح، للدلالة على كرامته عند ربه. وهي موقوفة على الولي، ويكون كتمانها واجبا عليه، وإن أراد إظهارها وإشاعتها زالت وبطلت، وربما تكون موقوفة على الدعاء والتضرع، وفي بعض الأوقات يعجز عن إظهارها. ويقول أصحاب الكرامات أن ما حصل لهم إنما هو باتباعهم للأنبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا، وما يجري على أيديهم إنما هو من جنس ما يجري للأنبياء. وهذا النوع من الخوارق يعين صاحبه على مباحات، ككرامات الصحابة والتابعين. والتي نذكر منها نقلا بتصرف عن شيخ الإسلام ابن تيمية استدلاله بكرامات السلف الصالح.[1]

* إظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء، ودعائه بأن يسقى قومه ويتوضئوا عند فقد الماء، فأجاب الله دعاءه.[2]

* وخطاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فوق منبر النبي في المدينة المنورة لسارية رضي الله عنه وهو في الشام. وذلك أن أمير المؤمنين عمر أرسل جيشا وأمّر عليهم رجلا يسمى "سارية"، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدوا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية

---

١ الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية مجلد ١١ صفحة ٢٧٨- ٢٨١

٢ صفة الصفوة لابن الجوزي ٦٩٤:١ ترجمة رقم ٩٨

الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.[1]

* وهذا أبو مسلم الخولاني يخاطبه الأسود العنسي بعد أن ادعى النبوة فيقول له: أتشهد أني رسول الله، قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما، وقدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله.[2]

* ومنها ما يتحدى بها صاحبها أن دين الإسلام حق كما فعل خالد بن الوليد حين حاصر حصنا منيعًا فقالوا له لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه ولم يضره.[3]

* ومنها استجابة دعاء العبد التقي الصالح كسعد بن أبي وقاص الذي كان مستجاب الدعوة، وقد استجاب الله دعاءه وفتح الله له العراق، وهزم جيوش كسرى.

* وكغلام بني إسرائيل الذى أنبأنا النبي ﷺ قصته في حديث طويل ما معناه أنه كان يأتي الساحر ليتعلم منه السحر وكيف كان يتخلف عن مجلس الساحر ويعرج على الراهب يتعلم على يديه التوحيد، ولما اكتشف أمره لم يقدروا على قتله. فطلب الغلام منهم أن يجمعوا الناس وقال لهم أرموني بسهم وسموا باسم الله، فإني أموت، فلما فعلوا ذلك آمن الناس برب الغلام، ومثل ذلك كثير.

المرتبة الثالثة: خوارق الكفار والفجار والسحرة والكهان: وهي عمل غريب يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب والضلال من المسلمين، وأصحاب الرياضات والمجاهدات، وهي أعمال مبنية على تمويه لا حقيقة له، وتعتمد على الحيل. ويعين هذا النوع من الخوارق صاحبها على محرمات مثل الفواحش والظلم والشرك والقول الباطل، فهذا من جنس خوارق السحرة والكهان والكفار والفجار.

---

١ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري عن عمر بن الحرث ١:٣٢٦

٢ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ١:٣٢٨

٣ تاريخ دمشق لابن عساكر ٥:١٠٦، وروى القصة أن أصحاب خالد حذروه قائلين: احذر السم لا يسقيكه الأعاجم، فقال: ايتوني به فأتي منه بشيء فأخذه بيده ثم اقتحمه (أي شربه) وقال بسم الله فلم يضره

ثانيا: مناقشة الخوارق

نناقش في هذا الجزء الفرق بين المعجزة والكرامة وخوارق الكهان، ونلخص فيما يلي ما ذهب إليه علماء الأمة ومنهم ابن تيمية في كتبه: النبوات والفتاوى الكبرى وغيرها.

١- الفرق بين خوارق الكهان ومعجزات الأنبياء

هناك فروق عديدة بين خوارق الكفار ومعجزات الأنبياء منها:

* لا بقاء لخوارق الكهان كعصيّ سحرة فرعون، بينما المعجزة باقية كعصا موسى.

* أن خوارق الكهان لا حقيقة لها ولا معنى، وقد تعتمد على الآلات أو الحيل وخفة اليد والشعوذة، أو تكون من إعانة الشياطين لبني آدم، فإن الكاهن يخبره الجن، والساحر تعينه الشياطين، بينما معجزة النبي لا تنال بحيلة ولا يتوصل إليها بواسطة الآلات.

* أن العوام يعجزون عن الإتيان بالخوارق، أما الحذاق والأذكياء فلا يعجزون عنها، بينما معجزة النبي فيعجز الخواص والعوام على القيام بمثلها.

* أن خوارق السحرة متداولة بين الناس في جميع الأزمان غير مختصة بوقت دون وقت، أما المعجزة فمختصة بزمان النبوة، خارجة عن العرف، خارقة للعادة.

* أن خوارق أهل الضلال يمكن نقضها بخوارق عكسها، ولا سبيل للنقض إلى المعجزة.

٢- الفرق بين المعجزة والكرامة

هناك اختلاف بين الفِرَق الإسلامية على طبيعة المعجزة والكرامة والفرق بينهما نذكر فيما يلي أقوال بعض الفرق في ذلك:[1]

١- تقول المعتزلة: "لا تخرق العادة إلا لنبي، وبالتالي كذّبوا بكرامات الصالحين وخوارق السحرة"[2].

٢- تقول الجهمية: "أن خرق العادة جائز مطلقا، وكل ما خرق لنبي من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين، بل ومن السحرة والكهان، لكن الفرق أن هذه تقترن بها دعوى النبوة وهو التحدي، وأن كل ما خرق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء"[3]. وهذا قول لا يقدم فرقا معقولا بين المعجزة والكرامة.

---

١ نقلا بتصرف من كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥ – ١٨

٢ قول المعتزلة

٣ قول الجهمية

٢- والصوفية وغيرهم من الناس يفرقون بين معجزة النبي وكرامة الولي بفروق ضعيفة، مثل: إن الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي أن الكرامة يخفيها صاحبها ولا يتحدى بها.

وهذا قول غير دقيق فكرامات الأولياء يظهرها الله ولا يخفيها أصحابها كما حدث مع الصحابة والتابعين وتناقلته الأمة جيلا بعد جيل، والحقيقة أن معجزة الأنبياء التي بها تثبت نبوتهم وبها وجب على الناس الإيمان بهم، فهي أمر يخص الأنبياء لا يكون للأولياء ولا لغيرهم، بل يكون من المعجزات الخارقة للعادات الناقضة لعادات جميع الإنس والجن غير الأنبياء،.. ولا يقدر أحد من مكذبي الرسل أن يأتي بمثل آيات الأنبياء".[1] والمراد بهذا النوع من المعجزات: "القرآن الكريم، والإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وفلق البحر".

* أن المعجزة مختصة بالنبي دائما، ووقت إظهار الآيات مرتبط بالوحي وبمشيئة الله تعالى، ويقرن بالتحدي، وتحصل بالدعاء، ولا تكون ثمرة المعاملات المَرْضِيَّةِ، ولا يمكن تحصيلها بالكسب والجهد، ويكون أثر المعجزة باقيا بحسب إرادة النبي.

* الكرامة لا يقصد بها التحدي، وإنما هي دليل على صحة الدين، وصدق الإتباع، وأصلها من جنس المعجزة.

* أن الكرامة تعين صاحبها على المباح من الأمور، كالبركة في الطعام والشراب، واستجابة الدعاء، كدعاء سعد بن أبي وقاص على من ادعى عليه كذبا وزورا.

* نظرا لرفعة مقام النبي على مقام الولي فلابد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله، إذ لو أتى بمثل ما أتى لكان مثله لا دونه، وبالتالى تكون الكرامة أقل أثرا من المعجزة.

وهذه الكرامات لا ترفع صاحبها ولا تخفضه. وكرامات الأولياء تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ولا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله، ومن هنا ضل كثير من النصارى وغيرهم، فإن الحواريين - وهم ليسوا بأنبياء - كانت لهم كرامات، كما تكون الكرامات لصالحي هذه الأمة، فظن أتباعهم أن كراماتهم تستلزم عصمتهم، فاتبعوهم في كل ما يقولون، وهذا غلط وتلبيس خطير، فإن النبي وجب قبول كل ما يقول لكونه ادعى النبوة، ودلت المعجزة على صدقه وتأييد الله له، والعصمة وصف لازم للنبوة، وبالتالي وجب متابعته في كل ما يُوحى إليه به.

---

١ النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢٨

ثانيا: الكرامة لها أصل في المعجزة

يرى العلماء ومنهم الإمام الشاطبي أن الكرامة التي لا أصل لها في المعجزات تعد باطلة ويقرر ذلك في الموافقات في أصول الشريعة قائلا: "ومن الفوائد في الأصل أن ينظر إلى كل خارقة صدرت على يدي أحد، فإن كان لها أصل في كرامات الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته فهي صحيحة، وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة، وإن ظهر ببادئ الرأي أنها كرامة، إذ ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة، بل منها ما يكون كذلك، ومنها مالا يكون كذلك.

وبيان ذلك بالمثال أن أرباب التصريف بالهمم، والتقربات بالصناعة الفلكية، والأحكام النجومية، قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة، وهي كلها ظلمات بعضها فوق بعض، ليس لها في الصحة مدخل، ولا يوجد لها في كرامات النبي ﷺ منبع، لأنه إن كان ذلك بدعاء مخصوص فدعاء النبي ﷺ لم يكن على تلك النسبة، ولا تجري فيه تلك الهيئة، ولا اعتمد على قران في الكواكب، ولا التمس سعودها أو نحوسها، بل تحرى مجرد الاعتماد على من يرجع الأمر كله واللجأ إليه، معرضا عن الكواكب، وناهيا عن الاستناد إليها، إذ قال: ﴿أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر﴾ الحديث (القدسى)".[1]

---

١ الموافقات للإمام الشاطبي ٢:٢٦٢

ثالثا: الآيات والمعجزات

المعجزة عمل ليس في قدرة الإنس والجن، ودليلنا على أن الجن لا يقدر على الآية أو المعجزة، أن الله تبارك وتعالى أرسل الرسل ومعهم المعجزات إلى الإنس والجن، فلابد أن تكون المعجزة خارجة عن مقدورهم أيضا، قال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم، يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾.[1] أما ما يأتي به الكاهن أو الساحر فغايته ما سمعه من جني استرق السمع، مثل الذى يستمع إلى حديث قوم وهم له كارهون. ويمكن تقسيم الآيات إلى نوعين: جنس من نوع العلم، وجنس من نوع القدرة:

١- نوع من باب العلم: وهو ما يخبر به الرسول من أنباء الغيب الذى اختص الله به نفسه مثل علمه بما سيكون من تفصيل الأمور الكبار على وجه الصدق، قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾.[2] كإخبار النبي ﷺ بأمور مستقبلية لا يعلمها إلا الله كغزو قوم من أمته بالبحر ومنهم الصحابية الجليلة "أم حَرَام"، التي بشرها الرسول الله ﷺ بأنها ستشارك جيشا يغزو ويركب البحر، فكان أن شاركت في فتح قبرص - في ولاية معاوية رضي الله عنه - وتوفيت ودفنت بها رضي الله عنها، وشهادة عمر وعثمان وعلي وقتل عمار تقتله الفئة الباغية، وقيام الحسن بالإصلاح بين فئتين كبيرتين من المسلمين، وغيرها مما وقع وسيقع إلى قيام الساعة، وهذا النوع من الإنباء بالغيب خص الله به الرسل فقط، ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ حيث تكفل الله حفظ غيبه بعصمة نبيه، وذلك قوله: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ . أما الغيب الذي يستطيعه الإنس والجن فهذا لايستلزم العصمة، ومن ذلك أن يخبر الولي بما يأكل الناس أو ما يدخرون، وهذا النوع يشترك فيه ولي الرحمن وولي الشيطان.

٢- نوع من باب القدرة: وهو القيام بأفعال لا يقدر عليها الإنس والجن مثل ما أعطاه الله لسليمان من تسخير الرياح والطير، وشق القمر للنبي ﷺ وشق البحر لموسى، وتكثير الطعام والماء للنبي وللمسيح، ويستطيع الإنس والجن إحضار الطعام أو المتاع مما يغيب عن الناس، وأيضا نقل المال من مكان إلى غيره، كما نقل الهدهد ما غاب عن عين سليمان وعلمه.

---

١ سورة الأنعام آية ١٣٠

٢ سورة الجن آية ٢٦ - ٢٧

وينقسم النوع الأخير من المعجزات إلى ثلاثة معان هي:

* إيجاد معدوم: كخروج الناقة من الجبل بدعاء صالح عليه السلام.
* إعدام الموجود كإبراء الأكمه والأبرص بدعاء عيسى عليه السلام.
* تحويل حال الموجود كقلب عصا موسى ثعبانا.[1]

---

[1] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزابادي ١:٦٧

رابعا: الأنبياء والأولياء

ومما سبق يتبين أن الأنبياء يتميزون على الأولياء بخصلتين هما:

١- العصمة: وهي حفظ الله تبارك وتعالى للنبي من إرتكاب الإثم فلا يليق بالقدوة أن يرتكب النقائص من الأفعال أو الفواحش من الأقوال هذا في غير الوحي، أما العصمة في الوحي فهي أن لا يقدر الشيطان أن ينفذ إليه أو يكون له حظ منه، وإلا نقل النبي رسالة ربه ناقصة أو مشوشة وهذا ما ينفيه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾.[١]

٢- المعجزة: وهي خاصة بالأنبياء وتشمل نوعي العلم والقدرة، بينما الكرامة للأولياء وهي ميراثهم من متابعة الأنبياء، وتكون من جنس معجزة النبي، ما عدا الإخبار بالغيب، الذي يستلزم عصمة لا تكون إلا لنبي.

وقد يكون من المتمم لهذا الفصل أن نُفرق بين كرامات الأولياء أصحاب الأحوال الرحمانية وبين أحوال أهل البدع والأهواء أصحاب الأحوال الشيطانية، وأبلغ من أظهر هذا الفرق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: "فالأحوال الرحمانية وكرامات أوليائه المتقين يكون سببها الإيمان فإن هذه حال أوليائه، قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.[٢]وتكون نعمةً لِله على عبده المؤمن في دينه ودنياه، فتكون الحجة في الدين والحاجة في الدنيا للمؤمنين، مثلما كانت معجزات نبينا محمد ﷺ كانت الحجة في الدين والحجة للمسلمين، مثل البركة التي تحصل في الطعام والشراب، كنبع الماء من بين أصابعه، ومثل نزول المطر بالاستسقاء، ومثل قهر الكفار، وشفاء المريض بالدعاء، ومثل الأخبار الصادقة، والنافعة بما غاب عن الحاضرين، وإخبار الأنبياء لا تكذب قط، فأولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور.

أما أصحاب الأحوال الشيطانية، فهم من جنس الكهان يكذبون تارة، ويصدقون أخرى،

---

١ سورة الحج آيه ٥٢

٢ سورة يونس آية ٦٢

ولابد في أعمالهم من مخالفة للأمر، قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم﴾.[1] ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء ملابسا الخبائث والنجاسات والأقذار التي يحبها الشياطين، ومرتكبا للفواحش أو ظالما للناس في أنفسهم وأموالهم".[2] وسنناقش بتوفيق الله مهمة الخضر على ضوء هذه الأسس التي أشرنا إليها.

---

١ سورة الشعراء آية ٢٢١ – ٢٢٢

٢ الفتاوى الكبرى ابن تيمية ٨٥:١

الفصل الثالث

مهمة الخضر

١- الخضر ملك

٢- الخضر ولي

٣- الخضر نبي

الفصل الثالث: مهمة الخضر

بعد هذا التمهيد السابق بيانه آنفا نعرض بتوفيق الله تعالى أقوال علماء الأمة وإجاباتهم على سؤال ما هي مهمة الخضر عليه السلام هل هو: ملك أم نبي أم ولي؟

أولا: الخضر مَلَك

يقول رأي غريب أن الخضر ملك من الملائكة وليس بشرا كما يتبادر إلى فهم الكثيرين، وهذا الرأي حكاه الماوردي قال: "أن الخضر ملك من الملائكة يتصور في صورة الآدميين"،[1] ويصف النووي هذا الرأي بقوله: وهذا غريب وباطل".[2] ولا أعتقد أننا نحتاج إلى مزيد من البيان حول فساد هذا الرأي، إذ لو كان الخضر ملكا لصرح بذلك القرآن والسنة، ولما كان هناك وجه للغرابة والإعجاز في القصة.

ثانيا: الخضر ولي

ذهب إلي ولاية الخضر الفرق الباطنية وأغلب الصوفية ويقرر أبو القاسم القشيري أن "لم يكن الخضر نبيا وإنما كان وليا"، ثم ينفي العصمة عن الأولياء بقوله." فإن قيل فهل يكون الولي معصوما؟ قيل أما وجوبا كما يقال في الأنبياء فلا، وأما أن يكون محفوظا فلا يصر على الذنوب فلا يمتنع ذلك في وصفهم"،[3] وخلاصة رأيه ومعه جماعة من الصوفية أن الخضر ولي غير معصوم. ويقول الدباغ "الخضر ليس بنبي، وإنما هو عبد أكرمه الله بمعرفته، وأمده بالتصرف في رعيته، وأعطاه من تمام التصرف وكمال المعرفة، ما يعطى للغوث من هذه الأمة المحمدية، وأدرك ذلك الخضر بلا شيخ ولا سلوك بل أمده الله تعالى بذلك ابتداء، فهذه درجته وهي لا تبلغ مبلغ النبوة ولا الرسالة" ثم يستطرد قائلا "وكل غوث وقطب وغيرهما من أصحاب التصريف لا يفعلون شيئا ولا يتصرفون في حادث إلا بأمر الله، وليس ذلك بنبوة ولا رسالة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون".[4] ونعرض فيما يلي الفرق بين وحي النبوة وإلهام الأولياء حسب ما يراه الصوفية.

---

١ نقلا عن الإصابة في تمييز الصحابة ١:٤٢٩

٢ صحيح مسلم شرح النووي ١٥:١٣٦

٣ الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ٢٧٦

٤ الإبريز لعبد العزيز الدباغ ٣٠٧

وحي الصوفية

يُفرق الشعراني بين وحي الأنبياء وووحيهم المزعوم لأقطابهم ويشرح كلام ابن عربي في ذلك قائلا: "أن وحي الأنبياء لا يكون إلا على لسان جبريل يقظة ومشافهة، وأما وحي الأولياء فيكون على لسان ملك الإلهام وهو على ضروب، منه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال، وهو الوحي في المنام، فالمتلقى حينئذ خيال والنازل كذلك والوحي به كذلك، ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس، ومنه ما يكون معنى يجده الموحى إليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال ممن نزل عليه"[1]

كما يحدد الشعراني صور تنزل وحي الإلهام على قلوب الأولياء بقوله: "إن صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم الولي من ذلك التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يُعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه ﷺ فهناك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك"، ويستطرد الشعراني ويجيب على تساؤل هل يكون الإلهام بلا واسطة أحد؟ قائلا: "نعم قد يُلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه ﷻ فلا يعلم به ملك الإلهام، لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس إلى إنكاره، ومنه إنكار موسى على الخضر عليهما السلام، وعذر موسى في إنكاره أن الأنبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم إلا على يد ملك - لا يُعرف شرعا من غير هذه الطريق - فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحى إليهما، وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أَجَلُّ الإلقاء وأشرفه إذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضا".[2]

---

١ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني ٨٣:٢ ، ويستشهد بكلام ابن عربي في الفتوحات المكية الباب ٢٨٥

٢ اليواقيت والجواهر للشعراني ٨٤:٢

ثالثا: الخضر نبي

وهذا الذي عليه جمهور أهل السنة وعلمائهم وهذه أقوالهم:-

يقول القرطبي: "الخضر نبي عند الجمهور".[1]

ويقول أبو حيان وابن كثير: "وقد استدل بهذا على أن الخضر كان نبيا".[2] وقال ابن الجوزي: "كثير من الناس ذهب إلى أنه نبي".[3]

ويرى ابن حجر العسقلاني: "وكان بعض أكابر العلماء يقول أول عقد يحل من الزندقة إعتقاد كون الخضر نبيا".[4]

ويرى الفخر الرازي: "الأكثرون أن ذلك العبد كان نبيا".[5]

ويقول أبو إسحق الشاطبي: "وأما قصة الخضر عليه السلام وقوله ﴿وما فعلته عن أمري﴾ فيظهر به أنه نبي وذهب إليه جماعة من العلماء استدلالا بهذا القول".[6]

ويؤكد الألوسي أن: "الجمهور على أن الخضر نبي وليس برسول وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين".[7]

إن اتفاق هؤلاء العلماء الأعلام وإجماعهم على أن الجمهور يرون نبوة الخضر يجعلنا نبحث عن الحجة والأدلة التي بنوا عليها إجماعهم الذي شذ عنه الصوفية والباطنية. بل إن هناك فريق من الصوفية يخالفون عامة المشايخ في شأن الخضر عليه السلام ومهمته.

الخضر نبي عند بعض الصوفية

ومن الصوفية من يرى الخضر نبيا وليس بولي، ويصرح الشعراني في كتابه الميزان الخضرية برأيه أن الخضر نبي حيث يقول: "فتوجهت إلى الله تعالى، وسألته أن يجمعني على أحد عنده علم ذلك، فَمَنَّ الله تعالى عليَّ، وتفضل وأجاب سؤالي، وجمعني على سيدنا

---

١ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٥٥

٢ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٥٣:٦

٣ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٦٨:٥

٤ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤٢٩:١

٥ التفسير الكبير للفخر الرازي ١٤٨:٢١

٦ الموافقات للشاطبي ٢٩٦:٢

٧ روح المعاني للألوسي البغدادي ٣٢٠:٥

ومولانا أبي العباس الخضر عليه السلام، وذلك سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة، بسطح جامع الغمري، حين كنت ساكنا فيه، فشكوت إليه حالي، فقلت له: أريد أن تعلمني يا نبي الله ميزانا أجمع بها بين مذاهب المجتهدين ومقلديهم، وأردها كلها إلى الشريعة، فقال عليه الصلاة والسلام: ألق سمعك وافتح عين قلبك، ..."[1]

وهناك رأي آخر عجيب ذكره الثعلبي في عرائس المجالس حيث يقول: "والصحيح أنه نبي معمر محجوب عن الأبصار".[2]

١ الميزان الخضرية للشعراني ٨

٢ عرائس المجالس للثعلبي ٢٢٤

الفصل الرابع

دلائل

نبوة الخضر

١- رحمة الخضر

٢- ارتباط الرحمة بالعلم

٣- الخضر يتلقى الوحي

٤- اطلاع الخضر على الغيب

٥- عصمة الخضر

٦- عناصر النبوة في القصة

الفصل الرابع: دلائل نبوة الخضر

الخضر عليه السلام نبي من الأنبياء، ويستطيع المتأمل للأوصاف الكريمة التي جاءت بها آيات القرآن الكريم، أن يجد فيها البيان والتفصيل الذي يحسم قضية نبوة الخضر عليه السلام، والتي منها:

أولا: رحمة الخضر

يصف القرآن الكريم عطاء الله ﷻ للخضر عليه السلام بقوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾.[1] وقد وصف الله تبارك وتعالى النبوة بأنها رحمة في مواضع كثيرة منها ما جاء على لسان شعيب عليه السلام ﴿قال: يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾.[2] لاحظ التطابق التام في المعنى بين قوله تعالى في حق الخضر عليه السلام ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾. وقوله تعالى على لسان شعيب: ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾.[3] ولما علمت قريش ببعثة رسول الله ﷺ قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقوله محمد حقا لنزل عليّ أو على أبي مسعود عروة بن مسعود الثقفي، أجابه القرآن الكريم قائلا: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهم يقسمون رحمة ربك﴾.[4] يقول القرطبي في بيان المراد من الرحمة في هذه الآية "يعني النبوة"،[5] ولما كانت نبوة محمد ﷺ للناس عامة وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.[6]

ثانيا: ارتباط الرحمة بالعلم

ومما يؤكد أن الرحمة في حق الخضر نبوة ارتباطها بالعلم، قال تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾. وهذا يقتضي تلقي الخضر هذا العلم عن الله بلا واسطة

---

١ سورة الكهف آية ٦٥

٢ سورة هود آية ٢٨

٣ سورة هود آية ٢٨

٤ سورة الزخرف آية ٣١ - ٣٢

٥ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٩٠٣

٦ سورة الأنبياء آية ١٠٧

بشر ولا تعليم معلم أو نبي آخر أو مرشد عارف، بل هو علم لدني من عند الله ﷺ.

ثالثا: الخضر يتلقى الوحي

يشرح الخضر عليه السلام أسرار أفعاله بقوله: ﴿وما فعلته عن أمري﴾. وهذا القول يناظر قول القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾.[1] فأفعال الخضر تنبع من مصادر ثلاثة: "الرحمة والعلم عن الله والوحي".

رابعا: إطلاع الخضر على الغيب

أخبر الخضر عليه السلام أنه خرق السفينة حتى يحفظ مال أصحابها المساكين، وهذا نوع من الغي يقدر عليه الإنس والجن والطير، أما ما لا يقدر عليه إلا الله فهو أن الملك الظالم سيمر في المستقبل على السفن وسيؤممها، وسيرى هذه السفينة وسيفكر في الاستيلاء عليها، ثم سيشاهد عيبها فيقرر تركها، وهذا علم بغيب الصدور، سيحدث لهذا الملك في المستقبل، قال تعالى: ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾[2].

- وعندما قتل الخضر الغلام قام بمعجزة تجمع بين العلم والقدرة، فَقَتْلُ الغلام وإطْلاعُ موسى على كُفرِ الغلام لايستطيعه إلا نبي، فتحقيق الخاتمة من العلوم الإلهية التي لا يُطْلِعُ الله الناس عليها إلا إذا كانوا أنبياء، فلم يحدث أنَّ وليا من الأولياء بشر بالجنة أو قطع بكفر غلام لم يكلف، وإذا فعل فمن يضمن صحة قوله، والأوضح من ذلك أن يخبر الخضر الكليم موسى عليهما السلام أن الله سيبدل والديه غلاما وسيكون بارا بهما، قال تعالى: ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما﴾.[3]

- ولما بنى الجدار كان مطلعا على نوعين من العلم:

الأول حين علم أن تحت الجدار كنزا وهذا يستطيعه الجن والحيوان، فالنمل يمكنه اختراق الجدار ومعرفة ما فيه.

والثاني: علمه أن الجدار لغلامين يتيمين في المدينة وأن أباهما كان صالحا، هذا يقدر عليه أي مقيم في هذه المدينة، أما علم الغيب الذي عند الله ولا يطلع عليه إلا من ارتضى الله من رسول، فهو استمرار أجل الغلامين، وبقاء الجدار قائما حتى ذلك الوقت، وعدم

---

١ سورة الأحقاف آية ٩

٢ سورة فاطر آية ٣٨

٣ سورة الكهف آية ٨١

انهياره إلا في توقيت يضمن إنهياره في وجود الغلامين بعد أن يبلغا أشدهما، ولايوجد غيرهما من الناس حتى لا يقع نزاع حول الكنز.

خامسا: عصمة الخضر

ورب قائل من الباطنية أو الصوفية يقول نحن نتفق على كل هذه المقدمات ونختلف على النتيجة، نحن نقول إن الخضر عليه السلام - شأنه شأن ذي القرنين - ولي أوتي رحمة وعلما ووحيا لكنه ليس بنبي، فاثبت لنا العكس؟

نقول والله الموفق: قولكم بولاية الخضر عليه السلام ينقص قدره ويرفع عنه العصمة، بينما قولنا بنبوته إثبات لعصمته، فالاختلاف إذن محصور في الإقرار بعصمته، إذا قلتم بعصمته لزمكم الإقرار بنبوته، أما قولكم بولايته يلازمه انتفاء عصمته، وتدني منزلته عن جميع الأنبياء، وتذكركم بأن أشرف الخلق بعد الأنبياء أبو بكر الصديق، ليس بمعصوم، وقد كان مترددا في جمع القرآن الكريم حتى لا يفعل مالم يأمر به النبي ﷺ. وظل عمر الفاروق يلح عليه حتى شرح الله صدره لذلك، وها هو عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الدين، والمحدث الملهم الذي يهابه الشيطان ويفر منه لا ينقص من قدره أن تصيب امرأة ويخطئ هو، وعندما أصاب علي بن أبي طالب في بعض المواقف لم يتحرج الفاروق أن يمدح علم أبي الحسن، وكلاهما غير معصوم.

إن ما سبق بيانه يساعدنا الآن على إدراك الفرق الكبير بين قتل ذي القرنين للظالمين، وقتل الخضر للغلام، وهو ما أظهره القرآن الكريم تماما، فذو القرنين يعذب الذين ظلموا وأفسدوا في الأرض، وهو مطالب بإثبات جرم كل منهم أمام الناس حتى ينزل عليه ما يستحقه من عذاب، فمنزلة ذي القرنين هنا كمنزلة الإمام العادل الذي يتقدم السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، أما قتل الخضر للغلام فقد عبر عنه موسى بقوله: ﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾.[1] ولا شك أنه فِعْلٌ منكر في جميع الشرائع والأعراف، لذلك لم يكن أمام الخضر إلا أن ينسب الأمر إلى وحي الله له مع بيان وجه الرحمة في هذا القتل.

لا شك أن قول الباطنية بولاية الخضر إقرار منهم أنه دون منزلة أبي بكر وعمر رضوان الله عليهم، فكيف يقدم على خرق السفينة وإزهاق الأرواح وقتل الأبرياء بمجرد الإلقاء في

---

١ سورة الكهف آيه ٧٤

خلده، وخَاطِرُهُ ليس بمعصوم، ولهذا استدل العلماء بواقعة قتل الغلام على نبوته وقالوا "إن الخضر عليه السلام أقدم على قتل الغلام، وما ذاك إلا بما أوحي إليه من المَلِك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده لأن خاطره ليس بِوَاجِبِ العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق".[1] ويقول ابن حجر في الإصابة: "ومما يستدل به على نبوة الخضر ما أخرجه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس قال: "قال موسى لما لقى الخضر: السلام عليك يا خضر، فقال: وعليك السلام يا موسى، قال: وما يدريك أني موسى؟ قال: أدراني بك الذي أدراك بي".[2]

ويقول الإمام الشاطبي بعد أن قرر نبوة الخضر عليه السلام: "ويجوز للنبي أن يحكم بمقتضى الوحي من غير إشكال، وإن سلم فهي قضية عَيْن، ولأمر ما، وليست جارية في شرعنا. والدليل على ذلك أنه لا يجوز في هذه المِلَّة لولي، ولا لغيره ممن ليس بنبي أن يقتل صبيا لم يبلغ الحُلُم، وإن عَلِمَ أنَّه طُبِع كافرا، وأنه لا يؤمن أبدا، وأنه لو عاش أرهق والديه طغيانا وكفرا، وإن أُذِنَ له من عالَم الغيب في ذلك، لأن الشريعة قد قررت الأمر والنهي، وإنما الظاهر في تلك القصة أنها وقعت على مقتضى شريعة أخرى".[3]

١ ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٦:١ وينقل نفس الاستدلال عن ابن الجوزي في عجالة المنتظر

٢ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤٣٠:١، **والربيع بن أنس** يروي عن أنس بن مالك، وروى له الأربعة، قال عنه العجلي: بصري صدوق، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: مات في خلافة أبي جعفر المنصور، وقيل توفي ١٣٩ أو ١٤٠، وقال ابن معين: كان يتشيع فيفرط، وذكره ابن حبان في الثقات. راجع تهذيب التهذيب ٢٠٧:٣ ترجمة رقم ٤٦١

٣ الموافقات للشاطبي ٢٩٧:٢

سادسا: عناصر النبوة في القصة

لقد اشتملت قصة موسى والخضر عليهما السلام على جميع عناصر النبوة، فالنبوة تقتضي وجود نبي يتلقى وحيا عن ربه، وآية دالة على هذه النبوة، وإخبار من الله ﷻ بصدق النبي، ثم قوم - ينقص عددهم أو يزيد - يتلقون هذه النبوة، وكل هذه العناصر ثابتة في هذا اللقاء، فالله ﷻ أخبر موسى عليه السلام بالسفر إلى مجمع البحرين للقاء عبد الله الصالح، والوحي ثابت إلى الخضر عليه السلام، والآية الدالة الجامعة لهما هي إحياء الحوت وسريانه في البحر عجبا، والقوم هنا موسى عليه السلام وفتاه، فما الغرابة في ذلك؟.

فإن قلت هل يرسل الله رسولا إلى غيره من الأنبياء يتلقون عنه رسالة عن ربه؟

نقول نعم إن في قصة أصحاب القرية التي ذكرها القرآن الكريم في سورة يس الإجابة حيث أرسل الله ﷻ رسولين إلى القرية ثم أرسل نبيا ثالثا معززا لهما، وناقلا عن ربه، قال تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث، فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾.[1] كما ورد في السنة ما يقرر نفس المعنى قول رسول الله ﷺ:﴿إن الرجل ليسمع الصوت فيكون نبيا﴾. ويروى عنه ﷺ ما معناه:

﴿كان فيمن سبق يبعث النبي إلى الرجل والرجلين﴾. وإلى هذا المعنى أشار الخضر عليه السلام بقوله لموسى عليه السلام: ﴿يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه﴾. وفي آخر الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ: ﴿وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر﴾.[2] ويشير هذا الحديث إلى أن علم موسى والخضر عليهما السلام من مشكاة واحدة وبحر واحد، قد اختص كل منهما بجزء لا يعلمه الآخر، وقد ذهب فريق من العلماء أن الخضر عليه السلام نبي أرسل إلى قومه فاستجابوا له، ومنهم إسماعيل بن أبي زياد ومحمد بن إسحق وأبو الحسن الرماني، ثم ابن الجوزي،[3] ولا يوجد ما ينفي هذا الرأي، فليس هناك ما يمنع من

---

١ سورة يس آية ١٣ - ١٤

٢ رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الكهف ٤٣٥٦، ومسلم في كتاب الفضائل (٢٣٨٠)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ٣١٤٩، وأحمد في مسنده ١١٦:٢، ١١٧، ١٢٢

٣ ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٤٢٩:١

وجود أكثر من نبي في وقت واحد، فقد عاصر كثير من الأنبياء غيرهم مثل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط الذي هاجر حين أرسله ربه إلى قوم آخرين، وترك الخليل إبراهيم عليه السلام مع قومه، كما عاش يعقوب ويوسف، وأيضا موسى وهارون وشعيب، ثم داود وسليمان، وأخيرا زكريا وعيسى ويحيى صلوات الله عليهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾.[1] فموسى وهارون عليهما السلام رسل الله إلى بني إسرائيل، ولا شك أن أمما أخرى تعيش على الأرض، ومعنى أن يسافر موسى وفتاه سفرا طويلا لقيا فيه النصب والتعب، أنهما تركا ديار بني إسرائيل ووصلا إلى أقوام آخرين، فما الذي يمنع أن يكون الخضر عليه السلام هو نذير تلك الأمة ونبيهم، ويرجح هذا الرأي أن الخضر عليه السلام كان معروفا في قومه بالصلاح، يروي الصحيحان البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: ﴿حتى إذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر، عرفوه فقالوا عبد الله الصالح، قال قلنا لسعيد خضر؟ قال نعم، لا نحمله بأجر﴾. وفي رواية أخرى: ﴿فحملوهم بغير نول﴾.[2] وفي صحيح مسلم: ﴿فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة فكلماهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول﴾.[3] وفي مسند أحمد أن أصحاب السفينة وصفوا الخضر عليه السلام بقولهم: ﴿عبد الله الصالح، لذلك لا يَحملونه بأجر﴾،[4] فلو كانوا في ديار بني إسرائيل لعرف أصحاب السفينة موسى عليه السلام، بينما المعروف هنا هو العبد الصالح والغريب هو موسى عليهما السلام.

ولا خلاف على أن الصلاح وصف قرآني مقرون بالأنبياء:

* قال تعالى في وصف أنبيائه ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾.[5]

* وفي حق إبراهيم الخليل: ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين﴾.[6]

---

١ سورة فاطر آية ٢٤

٢ أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٣١٤٩ ، ٤٣٥٦

٣ أخرجه مسلم بشرح النووي ١٣٩:١٥، والترمذي تحفة الأحوذي ٥٩٢:٨

٤ الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد ٢٠٢:١٨

٥ سورة الأنعام آية ٨٥

٦ سورة الأنبياء آية ٧٢

* وفي حق لوط: ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾.[1]

* وكذا قوله تعالى: ﴿إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾.[2]

* وهذا سليمان عليه السلام يدعو ربه بقوله: ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾.[3] ولا يسعنا المقام أن نحصي الآيات القرآنية التي وردت في حق عيسى وموسى ويونس بن متى وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تعبر عن نبوتهم أنها الصلاح.

فتوى شرعية هامة

بعد أن فرغت من كتابة هذا الكتاب، وفقني الله تبارك وتعالى إلي الإطلاع على مجموعة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وقد وجدت فيها العديد من الفتاوى التي تتناول موضوع كتابنا هذا، ومن توفيق الله تعالى وتسديده أن قررت جميع الفتاوى ما ذهبنا إليه من اجتهادات، لذا فقد رأيت أن أشير إليها كما يلي:

السؤال: هل الخضر صاحب موسى عليه السلام حي يرزق للآن؟ وهل هو نبي؟ وهل ذكر ذلك صراحة في الأحاديث النبوية الصحيحة ما هي حقيقة الأمر؟

الجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد: فالخضر نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، والصحيح أنه مات كغيره من البشر،.. الصحيح من قولي العلماء ما ذهب إليه الجمهور من أن الخضر عليه السلام قد مات لظاهر العموم في قوله تعالى:﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾.[4]

ثم ذكرت الفتوى الأحاديث التي استدللنا بها فيما تقدم عند مناقشة الأسئلة السابقة.

---

١ سورة الأنبياء آية ٧٥

٢ سورة الأنبياء آية ٨٦

٣ سورة النمل آية ١٩

٤ فتوى رقم ٥٥١٣، ورقم ٦٠٠١ من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢١٠:٢، ٢١١ جمع الشيخ الدويش، وإفتاء العلماء: عبدالله بن قعود، وعبدالله بن غديان، وعبدالرزاق عفيفي، واعتماد سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز

ملخص الباب الثاني

* إجماع علماء الأمة وسلفها الصالح يرون نبوة الخَضِر عليه السلام ثابتة بالكتاب والسنة، وأن الله تعالى أرسله إلى غير بني إسرائيل، وأنه لا تقوم الحجة بآراء الناس وأهوائهم، ومن يقول بولاية الخضر عليه السلام إنما يريد في حقيقة الأمر أن ينفي عن الخضر مقام النبوة، الذي يلازمه العصمة، وبالتالي يريدون أن يقولوا أن مقام الولاية يعطي صاحبه أكثر ما تعطي النبوة من العصمة، ألا وهو العلم اللدني أو الباطني، وهذه الفِرَق لا تتبع سوى الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا.

* لقاء الخضر عليه السلام مع كليم الله تعالى يتضمن جميع عناصر النبوة، وأهم ما أثبتناه هو عصمة الخضر عليه السلام، وأن هذا لايتأتى إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

* أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر عليهما السلام، ولا أوجب الله على الخضر متابعته والالتزام بشريعته. وأن الخضر لم يكن مبعوثا إلى موسى عليهما السلام، ولا أوجب الله على موسى متابعته والالتزام بشريعته. فكلاهما له نبوة وشريعة، ولقاؤهما هو التقاء بين شريعتين ليزداد كل منهما بالله تعالى علما.

* ليس في قصة الخضر وموسى عليهما السلام خروج عن الشريعة، ولهذا لما بَيَّن الخضر لموسى عليهما السلام الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل، وافقه موسى، ولم يختلفا حينئذ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفا لشريعة موسى بعد أن شرح الخضر حيثياته لما وافقه موسى عليهما السلام

* أن أدب موسى مع الخضر عليهما السلام، لا يعني رفعة مقام الخضر على موسى، فالمزية لا تقتضي الأفضلية.

* أن الرجوع إلى فتاوى العلماء يفيد السالك إلى الله ويبصره بما في سلوكه من أخطاء قد تقوده من حيث لا يدري إلى العديد من المفاهيم الباطلة المنحرفة، وفي ذلك الوبال والخطر العظيم.

الباب الثالث

تأملات
حول اللقاء

١- مَشَاهِد في حياة موسى
٢- سبب اللقاء
٣- أحداث اللقاء
٤- أضواء على اللقاء
٥- دروس وعِبَر

الفصل الأول

مَشَاهِد في حياة موسى عليه السلام

١- ميلاد الكليم

٢- موسى القاتل البريء

٣- لقاء موسى وشعيب

الفصل الأول: مشاهد في حياة موسى

ذكر القرآن الكريم جوانب عديدة من حياة موسى عليه السلام، ولا تجد نبيا أو رسولا ذكر في كتاب الله ﷻ مثل موسى عليه السلام، وقد ورد في الأثر ما معناه يوشك القرآن أن يكون كله لموسى، وما ذلك إلا لعلو قدره عند ربه ﷻ. فهو أحد أولي العزم من الرسل "نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"، ولذلك تتعدد الجوانب في قصة نبي الله موسى عليه السلام وسنختار منها ثلاثة مشاهد تخص بحثنا هذا، ونحاول بتوفيق الله تعالى تأملها والتعرف على مدلولاتها.

أولا: ميلاد الكليم

أرسل الله موسى إلى بني إسرائيل ليخرجهم من ذل وجور فرعون مصر المُتَأَلِّه على الناس الذي لم يقنع بقوله أنا ربكم الأعلى، بل راح يستبيح الأعراض ويقتل الأطفال.

وقد كان لميلاد موسى عليه السلام إرهاصات كثيرة - شأن الأحداث الجسام التي تقع في ملك الله - تُقَدِّمُ لها وتُمَهِّد الطريق، وصدق الله العظيم القائل: ﴿إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾.[1]

فكان من هذه الإرهاصات أن أشاع كهنة فرعون وسدنة معابده أن غلاما سيولد في بني إسرائيل يرث ملك فرعون، ولاشك أن خبرا كهذا كفيل أن يوغر صدر أي حاكم فما بالك بفرعون الذي لم يتردد في إصدار أوامره بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل، سارعت الزبانية من حراس أمن الفرعون في القبض علي الرضع من الأطفال وذبحهم، ولسان حال القدر يقول لفرعون لن نربي الموعود إلا في بيتك، فلما ولد موسى خاطب الوحي الإلهي أمه قائلا: ﴿فإذا خفت عليه فألقيه في اليم﴾.[2]

وإذا تدبرنا هذا الأمر وأحضرنا ألف أم مكان أم موسى ما أَجَبْنَ إلا بلسان واحد لن أدع ابني من حضني، ولئن قتلوه بين يدي أهون من إلقائه في النيل، لايملك من أمر نفسه شيئا تتقاذفه الأمواج وتتخاطفه التماسيح، ولولا أن ربط الله على قلب أم موسى فأمدها بالطمأنينة والسكينة حتى دفعت بوليدها وخالفت فطرة بني جنسها.

شاءت إرادة الله أن تتهادى أمواج النيل بمهد الوليد إلى عرين الطاغية وما أن شاهده

---

١ سورة يوسف آية ١٠٠

٢ سورة القصص آية ٧

الخدم والعبيد حتى تسابقوا بالنبأ إلى مليكتهم الطيبة آسية امرأة فرعون، فما أن طالعت وجهه الجميل حتى سرت أنوار قوله ﷻ: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾.[1] ملأت شغاف فؤادها، فاستولت محبته على قلبها، فراحت ترجو فرعون أن يجعله ابنا لهما، وقبل فرعون على مضض، وأتم الله على أم موسى النعمة بتحريم المراضع عليه، حتى سعت جنود فرعون إليها لا ليقتلوا وليدها، وإنما ليدعوها لتعيش في قصر فرعون مربية لموسى.

وسارت الأيام لاتحمل جديدا، الكل راض وسعيد، إلا فرعون الذي لاتفارقه نبوءة الكهنة... "سيأتي غلام من بني إسرائيل يهزم جندك ويجلس على عرشك وعلامته أنه سينتف شعرة من لحيتك"، إلى أن جاء يوم جلس فرعون يداعب الوليد فأمسك موسى بلحيته ونتف شعرة منها، حينئذ قفزت النبوءة إلى ذهنه فهاج وماج وجمع الكهنة واستشارهم، فخوفوه وأنذروه، فأمر بإحضار الوليد ليقتله، منعتهم آسيه وأخذت موسى في أحضانها، وهرولت إلى فرعون وأعوانه تخاطبهم بالعقل والحجة والدليل وتثبت لهم أن الصبي لايدرك ما فعله بلحية مليكهم، وتدعوهم إلى اختبار يحدد إدراك الصبي لما يفعل، فقالت: احضروا طبقا فيه تمر وآخر فيه جمر وقدموهما للغلام كما يقدم الطعام، فإن ترك الجمر وأكل التمر فهو لكم افعلوا به ما شئتم، أما إذا ترك التمر وأكل الجمر فهو لايدرك ولا يعي ما تزعمون، فقبل الكهنة التحدي ربما إرضاء للملكة، أو ثقة منهم في صدق نبوءتهم، والأمر في حقيقته إنفاذ لمشيئة الله ﷻ.

فقربوا الطبقين بين يدي الصبي والجميع يترقب حركته، فما أن مد موسى عليه السلام يده إلى التمر حتى أخذها جبريل الأمين عليه السلام والتقط بها جمرة، ووضعها في فم الكليم، كأنه يقول لهم إنه لا يعرف ما ينفعه وما يضره، فأصاب الجمر لسانه، ويشير إلى هذا المعنى قول الله ﷻ على لسان موسى: ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾.[2]

وقوله ﷻ: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا﴾.[3] كما عايره فرعون بعد ذلك بقوله: ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولايكاد يبين﴾.[4] وهذه القصة أشار إليها القرطبي

---

١ سورة طه آية ٣٩

٢ سورة طه ٢٧ - ٢٨

٣ سورة القصص آية ٣٤

٤ سورة الزخرف آية ٥٢

وغيره في تفسير سورة طه حيث يقول رواية عن ابن عباس: ﴿كانت في لسانه رتة، ذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلطمه لطمة، وأخذ بلحيته فنتفها، فقال فرعون لآسية: هذا عدوي فهات الذباحين، فقالت آسيه: على رسلك فإنه صَبي لا يفرق بين الأشياء ثم أتت بطستين فجعلت في أحدهما جمرا وفي الآخر جوهرا - وفي رواية تمرا - فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها في النار حتى رفع جمرة ووضعها في فيه على لسانه، فكانت تلك الرته ﴾.[1]

ويتبادر إلى الذهن التساؤل الآتي:

ما هي الحكمة من وضع الجمر على لسان موسى عليه السلام، وكيف يُبعث نبي إلى أصعب الأمم مراسا، وأقساها قلوبا، ثم يكون في لسانه رته؟ حتى أنه طلب عون أخيه في مخاطبة قومه، سنحاول أن نجد الإجابة من تأمل قصة موسى والخضر.

---

١ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢٣٢:٥، والطبري في جامع البيان في تفسير القرآن ١٢٦:١٦، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤٨:٢٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٣٣:١

ثانيا: موسى القاتل البريء

نشأ موسى في بيت فرعون وتعاقبت عليه الأيام والأعوام وهو السيد المطاع يحوطه الخدم والحشم، وحنان أمه والبارة الصالحة آسية امرأة فرعون، حتى أطلق الناس عليه اسم ابن فرعون، وفي يوم من الأيام بينما موسى عليه السلام يسير إلى حيث يعيش بنو إسرائيل، إذا هو برجلين أحدهما فرعوني يريد أن يُسَخِّر الآخر وهو إسرائيلي فأبى، فتشاجرا وكانت الغلبة للفرعوني، فاستغاث الإسرائيلي بموسى وطلب نصرته ورفع الظلم عنه، فأراد موسى أن يبعد هذا الطاغية فوكزه والوكز لغة هو "الضرب بجمع الكف"، والوكز لايكون أداة قتل، إلا أن الرجل سقط بلا حراك، وراح موسى وصاحبه يقلبان الرجل فإذا به ميت لا نبض فيه.

لاشك أنها مفاجأة كبرى فالنتيجة مخالفة تماما للمقدمات، فنيّة موسى نصرة الضعيف على القوي الظالم وهذا أمر تدعوا إليه الشرائع الإلهية والأعراف المشهورة بين الناس، وما تعمد موسى قتلا ولابغيا، والنتيجة التي لا مفر منها تلك الجثة التي تعد دليلا ماديا على جريمة القتل، وتبحث عن القصاص، فما كان من موسى إلا أن توجه إلى ربه يطلب الصفح والغفران مع إقراره بظلم نفسه، وتَقُصُّ علينا الآيات المباركات من سورة القصص قوله ﷻ:

﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين، ودخل المدينة على حين غفلة مِنْ أهلها[1] فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فوكزه موسى فقضي عليه، قال هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين، قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين، فأصبح في المدينة خائفا يترقب، فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه، قال له موسى إنك لغوي مبين، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما، قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس، إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾.[2]

---

١ في قوله تعالى: "على حين غفلة من أهلها" توجيه إلهي للحكام، إذا أرادوا أن يعرفوا الحقائق أن يدخلوا الأماكن على حين غفلة من أهلها حتى يروا ما يحدث بين الناس، فلو دخل موسى في موكب وحرس لما شاهد ظلما ولا جورا، وربما سيق الفرعوني والإسرائيلي ليصطفوا على الطريق هاتفين بحياته.

٢ سورة القصص آية ١٤ – ١٩

وما لبث أهل القتيل أن ذهبوا إلى فرعون يتهمون بني إسرائيل بقتل صاحبهم المصري، فقال أحضروا لي قاتله أو شاهدا عليه، فبينما هم يبحثون عن القاتل ولا يجدون بينة أو دليلا عليه، إذا موسى وقد أصبح خائفا من الله ﷻ أن يأخذه بقتل النفس التي حرم الله - وقيل خائفا من قومه أن يسلموه - فصادف الإسرائيلي نفسه مشتبكا مع مصري آخر، ويستغيث أيضا بموسى عليه السلام، فنهره موسى قائلا: إنك لغوي مبين، أي مضل بيّن الضلالة، قتلت بسببك نفسا بالأمس وتدعوني اليوم لقتل آخر، فعلم المصري من قتل قتيلهم بالأمس، كما خاف الإسرائيلي في نفس الوقت من بطش موسى بعد أن أغلظ له القول، فانطلق من يبلغ أهل القتيل بالنبأ الذي ينتظرونه.

إلا أن عناية الله سبقت، وقبل أن يصل أهل القتيل إلى موسى عليه السلام، جاء رجل من أقصى المدينة يسابق خطاه محذرا موسى وناصحا له بالخروج من مصر حرصا على حياته، قال تعالى في سورة القصص: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين، فخرج منها خائفا يترقب، قال رب نجني من القوم الظالمين﴾.[1]

---

١ سورة القصص آية ٢٠ - ٢١

ثالثا: لقاء موسى وشعيب

طلب موسى من ربه النجاة من القوم الظالمين، وأن يهديه سواء السبيل، فهو هارب مطلوب من ملك فرعون، ولكن موسى لا يعرف إلى أين؟ وإلى أي إتجاه تسوقه الأقدار، وليس له وهو في مصر أن يتجه إلا إلى الشرق من وادي النيل،فاستعان بالله قائلا: ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾.[1] فسار إلى صحراء سيناء بلا زاد ولا صاحب ولا دليل حتى عبر سيناء إلى رأس خليج العقبة حاليا حيث ديار مدين، ولنا أن نتصور حالته ومدى الجهد والإعياء الذي أصابه من هذه الرحلة الشاقة، وقد وصل لتوه إلى موضع بئر تجمع حوله الرعاة يشربون ويسقون دوابهم، ولم يبادر أحدهم بنجدة هذا الغريب القادم إلى نبعهم والوارد على مائهم سواء بتقديم الماء إليه، أو حتى مجرد الفضول والسؤال عن حاله، بل على العكس من ذلك نرى موسى يراقب القوم وهم يتزاحمون على الماء، يفوز به أقواهم ولا مكان للضعيف حتى ينتهي السادة والفتيان، ومن دونهم فتاتين تحاولان الوصول إلى الماء، ولا تجدان من يعينهما أو يفسح لهما المجال، يقول الله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان، قال: ما خطبكما، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما﴾[2] فاندفع موسى لعمل المعروف فالمروءة والإيثار سجية من سجاياه، غير ناظر إلى أجر أو ثواب من أحد، فرفع صخرة عظيمة كانت على فم البئر وأفسح الطريق لدوابهن وسقى لهن، ثم آوى إلي الظل مناجيا ربه موقنا بأن الذي كتب لكل نفس رزقها، قد أنزل إليه رزقه، فكان من عظيم أدبه أن دعا ربه قائلا: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[3] فأجابه الله ﷻ من فوره: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء، قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين، قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك، وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين، قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا

---

١ سورة القصص آية ٢٢

٢ سورة القصص آية ٢٣ – ٢٤

٣ سورة القصص آية ٢٤

عدوان علي، والله على ما نقول وكيل﴾.[1]

لما استمع شعيب لبناته وحديثهن عن مروءة هذا الغريب وكرم أخلاقه وما كان منه، دعاه إلى بيته، فلما استمع إلى قصته أدرك أنه من أهل التوحيد والمروءة والقوة والأمانة، فتوسم فيه أن يكون النبي الذي ينتظره.

مما سبق بيانه يظهر لنا أن هناك ثلاثة أحداث عجيبة في حياة الكليم لابد أن وراءها حكمة بالغة، وتحتاج منا إلى تأمل وتفكر عسى أن نوفق بإذن الله تعالى إلى فهمها وهي:

١- في طفولته: حادثة الجمر التي تسببت في رتة لسانه.

٢- في شبابه: وكز الرجل فمات من فوره واتهامه بالقتل وفراره من قومه.

٣- ثم عمله أجيرا عند شعيب عشر سنوات.

وجميع هذه الأحداث وقعت قبل أن يختصه الله بالنبوة والرسالة والكلام، وقبل أن يعود ثانية إلى فرعون مبشرا ونذيرا، وسنحاول تفسير هذه الأحداث في الباب التالي بإذن الله.

---

١ سورة القصص آية ٢٥ - ٢٨

الفصل الثاني: سبب اللقاء

جاء في كتب الحديث والتفسير أن سبب سفر موسى للقاء الخضر هو قول موسى أنه أعلم أهل الأرض، وقيل طلب موسى أن يزداد علما إلى علمه، وربما كلاهما معا.

أما السبب الأول فدليله ما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ﴿بينما موسى في ملإ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك، قال لا: فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إليه﴾[1] وفي رواية أخرى: ﴿أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسُئِل: أي الناس أعلم، فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى لي عبد هو أعلم منك﴾.[2]

أما السبب الثاني فدليله حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: ﴿إن موسى هو نبي بني إسرائيل سأل ربه فقال: أي رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه، فقال: نعم في عبادي من هو أعلم منك، ثم نعت له مكانه وأذن له في لقيه﴾.[3] ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿سأل موسى ربه وقال: رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: أي رب أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علم نفسه، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى، قال: رب فهل في الأرض أحد؟ قال: نعم، قال: رب فمن هو؟ قال: الخضر، قال: فأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت﴾.[4] وفي حديث آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال قال (أي موسى عليه السلام): ﴿فأي عبادك أعلم؟ قال: عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه﴾.[5]

إن أعظم اختصاص للأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو العلم عن الله، فهم أعلم خلقه به، أفاض الله عليهم من رحمته وأمرهم بالبلاغ والبيان، لذا تراهم لا يحجبون العلم عن الناس،

---

١ أخرجه البخاري من حديث أبي بن كعب ٣٣٤:٦

٢ أخرجه البخاري من حديث أبي بن كعب ٣٣٥:٦، والطبري في تفسيره ١٨٠:١٥، الترمذي في كتاب التفسير ٢:١٢، وقال: حديث حسن صحيح

٣ أخرجه الطبري في تفسيره من حديث أبي بن كعب ١٨١:١٥

٤ الطبري في تفسيره ١٧٩:١٥

٥ أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث ٦١٨٤

بل إن هدف رسالاتهم أن يعلموا الناس ويجاهدوا في الله حق جهاده، حتي يخرجوا أقوامهم من الظلمات إلى النور، والله ﷻ يخاطب رسوله قائلا: ﴿وقل رب زدني علما﴾.[1] فطلب العلم والمزيد منه توجيه إلهي، وفطرة الله التى فطر الأنبياء والمرسلين عليها.

إن موسى عليه السلام رسول الله ﷻ إلى بني إسرائيل لا يشك أنه أعلم قومه، ونحن نشاركه هذا اليقين، ففيم العتاب إذا أجاب بالنفي حين سئل هل تعلم أحدا أعلم منك؟ الجواب على ذلك والله تعالى أعلم، أن العتاب جاء تعليما لموسى عليه السلام فبنو إسرائيل لا يمثلون كل من يعيش على الأرض، وربما كان هناك أقواما آخرون يعيشون في بلاد تبعد عن ديار بني إسرائيل ولا يمنع وجود نبي في بني إسرائيل أن يرسل الله ﷻ رسلا آخرين إلى أهل تلك البلاد، والتفاضل بين الأنبياء منهي عنه وحذرنا منه النبي ﷺ بقوله: ﴿لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى﴾.[2] إن إجابة موسى عليه السلام أنه أعلم أهل زمانه، إجابة تحتاج إلى تعليم من الله وتنبيه، فهذا مقام لا ينبغي إلا لسيد ولد آدم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ فهو النبي الموصوف بأنه أعلم زمانه بل وكل زمان منذ آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو المبعوث للناس كافة ورحمة الله للعالمين ، لذلك كان العتاب تنبيها لموسى عليه السلام، فهو وإن كان أعلم بني إسرائيل إلا أنه لم يحط بكل علوم أهل زمانه، ولم يرق لمقام أعلم أهل الأرض حيث لن ينال هذا المقام إلا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين. أما إذا كان سبب السفر هو سؤال موسى عليه السلام لربه أي عبادك أعلم قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، ففي الإجابة دلالة على نهم طالب العلم ورغبته الدائمة في تلقي علوم الآخرين إلى علمه، وروي في الأثر ما معناه: ﴿منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال ﴾. وأيا كان سبب اللقاء، فالأهم ما جرى عند اللقاء.

---

١ سورة طه آية ١١٤

٢ متفق عليه أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء حديث رقم ٣١٤٤ / ٣١٦١، وتفسير القرآن ٤٢٦٤ وفي التوحيد ٦٩٨٥، وأخرجه مسلم في الإيمان ١٦٥، وفي الفضائل ٢٣٧٧، وأبو داود في السنة ٤٦٦٩، وأحمد في مسنده ١:٢٤٥ / ٣٤٢ / ٤٣٧

الفصل الثالث

أحداث اللقاء

١- آداب اللقاء
٢- خرق السفينة
٣- قتل الغلام
٤- الجدار المائل

الفصل الثالث: أحداث اللقاء

أولا: آداب اللقاء

يقص علينا القرآن الكريم في موضع واحد من سورة الكهف قصة لقاء الكليم موسى وعبد الله الصالح الخَضْر بينما لا يكاد يخلو كتاب من كتب السنة النبوية المطهرة من ذكر القصة كاملة أو بعض أجزائها، وهذا الإهتمام يلفت العقول والأفئدة إلى تدبر هذه القصة وتأمل ما فيها من دلالات، فتعالى بنا يا أخي نحيا في رحاب اللقاء الفريد من نوعه.

أراد الله تبارك وتعالى أن يكون اللقاء عند مجمع البحرين وجعل لذلك آية ذكرها البخاري في صحيحه عن رسول الله ﷺ قوله على لسان موسى قال: ﴿أي رب كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتا في مكتل (وعاء من خوص) فحينما فقدت الحوت فاتبعه.

قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فنزل عندها، قال: فوضع موسى رأسه فنام فلما استيقظ موسى قال لفتاه آتنا غداءنا قيل: ولم يجد النصب حتى جاوز ما أُمِر به﴾.

يحكى لنا الحديث الشريف ما كان عند اللقاء بين موسى والخضر: ﴿إذا هما برجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، قال: وأنّى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟ قال له الخضر: يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، قال: بل أتبعك، قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحْدِث لك منه ذكرا﴾.[1]

وفي رواية أخرى أن موسى قال: ﴿جئت لتعلمني مما علمت رشدا، قال: أما يكفيك أنَّ التوراة بيديك، وأنَّ الوحي يأتيك، إنَّ لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وأن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه، فأخذ طائر بمنقاره من البحر، قال (الخضر) والله ما علمي وعلمك (وفي رواية وعلم الخلائق) في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر ﴾.[2] وفي رواية ثالثة فلما ركبا في السفينة ﴿وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر

---

١ متفق عليه أخرجه البخاري حديث رقم ٤٣٥٨، ومسلم في الفضائل ٢٣٨٠، الترمذي ٣١٤٩، أحمد في مسنده ١١٦:٥ / ١١٧ / ١٢٢

٢ أخرجه البخاري في تفسير القرآن من حديث أبي بن كعب رقم ٤٣٥٧

نقرة أو نقرتين فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر ﴾.[1]

يقرر الخضر عليه السلام حقيقة هامة ينبغي أن نتأملها جيدا، وهي أن علم موسى والخضر عليهما السلام كقطرة في بحر علم الله ﷻ. ويؤيد ذلك والله تعالى أعلم قول الحق سبحانه ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾.[2] فكلمات الله ﷻ لا تتناهى، ولو أن الأشجار أقلاما وماء البحار صار مدادا، ما نفدت كلمات الله، وما أحاط الأنبياء إلا بقطرات كالتي شربها العصفور، وهذا المعنى أشارت إليه الآية الكريمة التي خاطبت البشر جميعا ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾.[3]

يظهر لنا من التفكر في هذا الجزء من القصة ما يلي:-

١- أن الخضر ليس من بني إسرائيل بدليل سفر موسى عليه السلام سفرا بعيدا للقائه.

٢- يعلم الخضر أن موسى نبي الله إلى بني إسرائيل حين قال له: موسى بني إسرائيل، فقد أورد البخاري في رواية أخرى قول الخضر: ﴿أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك، إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه ﴾.[4]

٣- أن موسى عليه السلام أطلع فتاه يوشع على الآية والعلامة التى عندها يجدون الخضر ﴿فجعل الله له الحوت آية، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ﴾.[5]

٤- أن فتى موسى عليه السلام شاهد آية إحياء الحوت وتحركه وجريانه في البحر أثناء نوم موسى عليه السلام كما في رواية سعيد: ﴿إذ تَضَرَّب [6] الحوت وموسى نائم فقال فتاه: لا أوقظه حتى إذا استيقظ، فنسي أن يخبره وتَضَرَّب الحوت حتى دخل البحر ﴾.[7]

---

١ أخرجه البخاري حديث رقم ١١٩ ورواه مسلم والترمذي وأحمد في مسنده

٢ سورة لقمان آية ٢٧

٣ سورة الإسراء آية ٨٥

٤ أخرجه البخاري حديث رقم ٤٣٥٧

٥ أخرجه البخاري في كتاب العلم حديث ٧٦

٦ تضرب: أي تحرك وعاد إلى الحياة

٧ أخرجه البخاري حديث رقم ٤٣٥٧

٥- لما نسي يوشع أن يُخبر موسى، سارا قليلا ثم طلب موسى من فتاه الغداء قائلا: آتنا غداءنا لقد لقينا في سفرنا هذا نصبا، يبين الحديث أن موسى عليه السلام لم يجد النصب حتى جاوز ما أُمِر به، وكأنه يُذكّر فتاه أن يقص عليه ما حدث من أمر الحوت به.

٦- رد الخضر على تحية موسى عليهما السلام بقوله: ﴿وأنَّى بأرضك السلام﴾ فيها إشارة إلى طبيعة اليهود وسعيهم الدائم إلى الحروب وإشعال الفتن، فالخضر لم يقل وأنىّ بالأرض السلام وإنما خصص الوصف ببني إسرائيل قوم موسى عليه السلام.

٧- بيان لما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من آداب في الاستئذان وطلب الصحبة.

٨- إشتراط المعلم على طالب العلم ما يراه مناسبا.

ثانيا: خرق السفينة

بعد أن تم اللقاء ووضعت شروطه وبدأت الصحبة، سار الركب المبارك قليلا على ساحل البحر حتى شاهدوا سفينة فطلبوا من أصحابها أن يحملوهم، يقول النبي ﷺ: ﴿فانطلقوا يمشون على الساحل فمرت بهما سفينة فَعُرِف الخضر فحملوهم في سفينتهم بغير نول﴾.[1]

وفي رواية: أن أصحاب السفينة عرفوا الخضر لقوله ﷺ: ﴿فقالوا: عبد الله الصالح، قال: نعم لا نحمله بأجر، فخرقها ووتد فيها وتدا قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا (قال مجاهد: منكرا) قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا، (كانت الأولى نسيانا) قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾.

إذا تأملنا مشهد السفينة تظهر لنا الحقائق التالية:-

١- أن موسى عليه السلام سافر قريبا من ديار الخضر عليه السلام فأصحاب السفينة عرفوا الخضر وقالوا: عبد الله الصالح ولم يعرفوا نبي الله موسى عليه السلام.

٢- أن القول باحتجاب الخضر عن الأنظار لاأساس له من الصحة، فالخَضْر معروف في قومه وموصوف بالصلاح، وقد رآه موسى وفتاه وأصحاب السفينة وأهل القرية.

٣- أن موسى وهو الكليم الذى تلقى التوراة والمأمور في نفس الوقت بالسفر للقاء الخضر حتى يتعلم ما عنده من العلم، لم يعطل العمل بالتوراة ومن ثم بادر بالاعتراض على خرق السفينة فهو عمل منكر في جميع الشرائع الإلهية.

٤- أن الخضر لم يطلب من موسى عليهما السلام أن يوقف العمل بالتوراة حال صحبته

---

١ بغير نول أي بدون أجرة حفاوة بالخضر عليه السلام ومن معه

حتى لا يعترض على أفعاله وإنما قال له: ﴿لا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكرا﴾.[1]

٥- بلاغة اعتذار موسى عليه السلام وذلك قوله: ﴿ولا ترهقني من أمرى عسرا﴾.[2] فما يراه من فعل الخضر منكر في شريعته وتكليف الله له، والعسر في أن لديه الآن أمرين من الله الأول في التوراة والثانى فعل الخضر الذي أمره الله باتباعه.

ثالثا: قتل الغلام

برغم قِصَر المشهد الثاني إلا أنه يعد أشق مشهد على قلب موسى عليه السلام، يقول الحديث: ﴿فانطلقا إذ هما بغلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فقطعه، قال له: موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا﴾.[3] من سياق هذه الحادثة نلمح ما يلي:-

١- لم يمنع إعتذار موسى عليه السلام في المرة الأولى أن يحتكم إلى التوارة ويطبق أحكامها على فعل الخضر عليهما السلام، ثم يبادر إلى إنكار قتل النفس الزاكية.

٢- أن أسلوب الخضر قد ازداد حدة بعد وقوع المخالفة الثانية لموسى عليهما السلام، لذلك أضاف كلمة لك إلى عبارته التي ينبه فيها موسى عليه السلام، ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ زيادة في التذكير والتنبيه.

رابعا: الجدار المائل

انطلق الركب حتى دخلوا قرية لاتعرف للكرم سبيلا ولا لمساعدة الغريب أو عابر السبيل طريقا، ولا عجب أن منعوهم حق الضيافة، ونستكمل القصة كما وردت عن النبي ﷺ حيث يقول: ﴿فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض، فقال: بيده هكذا فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القرية فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لا تخذت عليه أجرا قال: هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا﴾.

تدلنا أحداث هذا المشهد على النقاط التالية:-

---

١ سورة الكهف آية ٧٠

٢ سورة الكهف آية ٧٣

٣ أخرجه البخاري في كتاب العلم حديث ٧٦

١- أن موسى عليه السلام لم يغفل عن أحكام التوراة لحظة واحدة، وفيها العين بالعين والسن بالسن، فالقوم منعوهم القِرى لذلك كان الأولى طلب الأجر على إقامة الجدار.

٢- إلتزام موسى والخضر عليهما السلام بالشروط التي قرراها عند اللقاء.

تلك هي الوقائع الثلاث التى دار حولها اللقاء بين موسى والخضر، ولاشك أننا جميعا نشارك رسول الله ﷺ رغبته أن يطول اللقاء أكثر من ذلك، كما ورد في الحديث الشريف الذي يقول فيه: ﴿يرحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما﴾.[١] وفي رواية أخرى: ﴿رحمة الله علينا وعلى موسى لو كان صبر لقص الله تعالى علينا من خبره، ولكن قال:﴾. ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾.[٢]

وكانت إرادة الله أن يكون الفراق عند هذه القرية بعد أن يفسر الخضر لموسى عليهما السلام ما كان من أمره، هذا التفسير يُظهر لنا تماثلا عجيبا بين هذه الوقائع الثلاث وبين المشاهد الثلاثة التي وقعت في حياة موسى عليه السلام.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل حديث ٤٣٨٥ ترقيم العالمية

٢ أخرجه أحمد في مسنده ١٢١:٥

الفصل الرابع

أضواء على اللقاء

١- الملك الظالم وفرعون

٢- قتيل موسى وقتيل الخضر

٣- الجدار والبئر

٤- موسى والكنز

الفصل الرابع: أضواء على اللقاء

أولا: الملك الظالم وفرعون

تقص علينا آيات القرآن الكريم تفسير الخضر عليه السلام لخرق السفينة حيث يقول الله ﷻ: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾.[1]

إن هذه الآيات على بساطة ألفاظها جلّت الأمر ولم تدع فيه أي تساؤل، فهؤلاء الصيادون البسطاء يعتمدون على سفينتهم، في الحصول على لقمة العيش وهم لم يُبتلوا بقطاع طرق أو عصابه من المفسدين فقط وإنما بملك ظالم يحرمهم من سفنهم ويستولى عليها، فكان العيب الذى أحدثه الخضر عليه السلام في حقيقته ضرر بسيط عاجل درءا لمفسدة كبيرة آجله، وهي قطع أسباب الرزق فالسفينة لا يملكها مسكين واحد بل عدة مساكين.

وإذا رجعنا إلى ما ذكرناه آنفا في "مشاهد في حياة موسى عليه السلام"، فإننا نرى تشابها بين قصة خرق الخضر عليه السلام للسفينة وقصة موسى عليه السلام في طفولته نوضحه فيما يلى:-

* ولد موسى عليه السلام بين اليهود وهم قوم مستضعفون في مصر.

وسفينة الخضر لمساكين يعملون في البحر.

* وراء موسى ملك ظالم هو فرعون يأخذ كل مولود لبني إسرائيل غصبا

والملك الظالم في قصة الخضر يأخذ كل سفينة للمساكين غصبا.

* الجمرة على لسان موسى كانت سبب نجاته ليكون هاديا لقومه.

وعيب الخضر للسفينة كان سببا لنجاتها وبقائها سببا لرزق أصحابها.

---

١ سورة الكهف آية ٧٩

ثانيا: قتيل موسى وقتيل الخضر

روى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ يوم طُبِعَ كافرا، وكان أبواه قد عطفا عليه، فلو أنه أدرك[1] أرهقهما طغيانا وكفرا﴾.[2] ورواية مسلم وأبي داود ﴿ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا﴾. كما ورد عن صاحب العرس والعرائس قوله: "إن موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية، اقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا"، ربما يتساءل البعض عن حكمة قتل هذا الغلام وما جناه؟ والأمر يحتاج إلى تأمل لحقيقة المشيئة الإلهية، فكم من طفل يموت بين ذراعي والديه، وكم من جنين يسقط من رحم أمه قبل أن يكتمل وليدا، والناس لا تتساءل عن حكمة وفاة هذا أو ذاك، إلا أن التسليم لمالك الملك أن يفعل في ملكه ما يشاء من أصل الإيمان.

لذلك تجد التساؤل عن قتل الغلام يبرز لأن الموت هنا جاء بفعل نبي الله الخضر عليه السلام وبأمر من الله لقول الخضر: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ لذلك عرض علينا القرآن جانب الرحمة في القضية وهو إبدال والديه بمن هو أبر منه وأرحم.

ولو شرح الخضر قتله للغلام بقوله إن أجله انتهى الآن، وقد أمرني الله بقتله لكان السبب مقنعا، طالما أن الفاعل نبي، والآمر هو واهب الموت والحياة، فلا يُسْئَلُ عما يفعل، فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يرى في المنام أنه يذبح ولده، فما تردد لحظة في تنفيذ أمر ربه، ونبي الله إسماعيل قدم نفسه طاعة لأمر ربه، أما ما هي الحكمة أنْ يَتِمَّ القتل أمام موسى، فلعل - والله تعالى أعلم - أن في ذلك شرحا للحادثة الثانية في حياة موسى، يوم استغاث به الإسرائيلي فبادر إلى رفع الظلم عنه ووكز الفرعوني فمات من فوره، وما قصد موسى ولا فعل ما يوجب موت الرجل إلا أن أجله قُضي من ساعته.

إن هذه الحادثة هي السبب الوحيد في إخراج موسى من مصر، وسفره إلى مدين، أوصله إلى النبي الصالح شعيب عليه السلام، ثم الزوجة الصالحة، وعصا النبوة، إذن فقتل

---

١ أدرك: أي بلغ سن الإدراك والرشد

٢ أخرجه مسلم في فضائل زكريا والخضر عليهما السلام ١٤٥:١٥، وفي كتاب القدر، ٢١١:١٦ وأبو داود في كتاب السنة حديث رقم ٤٧٠٥، ٤٧٠٦ وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس رقم ٦١٨٨، وأخرجه الترمذي حديث رقم ٣١٥٠، وقال: حسن غريب ، ورواه أحمد في مسنده ١١٩:٥ / ١٢١

الفرعوني كان لإبدال موسى قوما أفضل من قومه، حتى يعود إلى بني إسرائيل وهو النبي كليم الله القادم ليخرجهم من جور فرعون.

ويبقى موسى عليه السلام محتاجا لمن يُبرئ ساحته من تهمة القتل الخطأ، فيأتيه الخضر عليه السلام، ويقتل الغلام عمدا ويقدم له الحكمة أن وراء قتل الغلام رحمة بوالديه.

لذلك قيل: إن موسى عليه السلام قال للخضر: إني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها وهى ظالمة كافرة، فأجابه الخضر: وأنا أمرت بقتل نفس زكية لم ترتكب ذنبا يوجب قتلها، وحتى وإن كانت مطبوعة على الكفر إلا أن المراد الرحمة بوالديها.

ثالثا: الجدار والبئر

يقول الله ﷻ ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما، ويستخرجا كنزهما، رحمة من ربك وما فعلته عن أمري، ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا﴾.[1] أما التماثل بين هذا التفسير وبين حياة موسى عليه السلام فواضح جلي، إن موسى عليه السلام دخل إلى مدين وقد اعتراه التعب والنصب ولم يلق من أهل مدين أي ضيافة أو كرم حتى أنه بعد أن سقى لبنتي شعيب جلس تحت شجرة يقول: ﴿رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير﴾.[2] - وهو نفس ماحدث للخضر وموسى حين أبى أهل القرية أن يضيفوهما - فموسى عليه السلام لم يطلب أجرا لسقيه أنعام بنتي شعيب، وكذلك الخضر لم يطلب أجرا لبناء الجدار. كان الجدار لغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحا ويختبيء تحت الجدار كنزٌ، سيظهره الله لهما بعد سنوات يشتدُ خلالها عودهما. وموسى لقي بنتا شعيب وأباهما صالحا، ولإثبات التماثل بين القصتين ينبغي أن يجد موسى عند شعيب كنزا ينتفع به موسى بعد سنوات، ولكن أين الكنز في قصة موسى؟!

رابعا: موسى والكنز

كان موسى في ريعان الشباب وفتوة الرجال بينما شعيب الذي سماه نبينا محمد ﷺ "خطيب الأنبياء" في وقار الشيخوخة ورشد الحكماء، ولاشك أن حياتهما معا لسنوات عشر قد هيأت فرصة نادرة ونبعا صافيا ينهل منه موسى عليه السلام، ليس هذا فقط وإنما هناك

---

١ سورة الكهف آية ٨٢

٢ سورة القصص آية ٢٤

أيضا كنز أبقاه الله ﷺ لموسى عند شعيب عليهما السلام، ذكره المفسرون في كتبهم، يقول الفخر الرازي: "إن شعيبا كانت عنده عصا الأنبياء عليهم السلام، فقال لموسى بالليل: إذا دخلت ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي، فأخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة، ولم تزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام، فقال أرني العصا فلمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها، فما وقع في يده إلا هي، سبع مرات، فعلم أن له معها شأنا".[1] ويقول القرطبي ذكر القشيري: "أن شعيبا لما استأجر موسى قال له: أدخل البيت وخذ عصا من العصي التي في البيت، فأخرج موسى عصا، وكان أخرجها آدم من الجنة، وتوارثها الأنبياء حتى صارت إلى شعيب، فأمره شعيب أن يلقيها في البيت ويأخذ عصا أخرى، فدخل وأخرج تلك العصا، وكذلك سبع مرات كل ذلك لا تقع بيده غير تلك، فعلم شعيب أن له شأنا".[2] لذلك أدرك شعيب أن موسى عليهما السلام هو النبي الذي ينتظره ليسلمه بأمر الله الكنز المختبئ عنده، وقد كان من شأنها ما قصه القرآن الكريم. لو صحت هذه الأخبار لكانت العصا كنزا عظيما ادخره الله لموسى حتى إذا قَضَى الأَجَل وخرج بأهله جاءه الأمر من ربه عُلِمَ شأن العصا ودورها الكبير في حياة بني إسرائيل.

أما إذا لم يقم دليل على صحة هذه الأخبار، فهناك عصا يملكها موسى سواء وجدها عند شعيب أو حصل عليها من أي مكان آخر إلا أن الله تبارك وتعالى أرادها أن تكون آية من آيات موسى عليه السلام وكنزا من أعظم كنوز بني إسرائيل، فهي التي تلقفت ما صنع السحرة، وبها انفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم، ولما ضرب موسى بها الحجر انفجرت منه اثنتا عشرة عينا تسقي القوم. كما يمكن إضافة لما سبق أن نرى الكنز يتمثل في صحبة موسى لشعيب التي أتاحت فرصة فريدة أقام خلالها نبي قبل بعثته في بيت نبي أدى أمانته وبلغ رسالته. إن هذه الرعاية الخاصة بالكليم تمثل في حقيقتها إعدادا متميزا، وتأهيلا رفيع المستوى، إذن فسقيه الماء لكريمتي شعيب كان سببا في اجتماعهما، وضَمِن له مَعِينًا لاينضب طوال عشر سنوات من صحبة نبي كريم، وبعد انقضاء الأمد أصبح موسى عليه السلام مؤهلا لتلقي رسالة ربه من فوق طور سيناء، لذا كان فراق موسى لأهل مدين، ولا نعرف إن كان شعيب عليه السلام قضى نحبه قبل انقضاء السنوات العشر أم لا.

---

١ الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٤٦:٢٤

٢ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٩٩٣:٦

الفصل الخامس

دروس وعِبَر

١- تأملات في اللقاء
٢- المدهش من كلام ابن الجوزي
٣- تعقيب هام

الفصل الخامس: دروس وعبر

أولا: تأملات في اللقاء

إننا حين نتأمل هذا التماثل بين ماجرى على يد الخضر وبين الوقائع الثلاث في حياة موسى عليهما السلام، لانكون متجاوزين إذا قلنا أن الخضر عليه السلام يجيب موسى عن التساؤل الذي ربما دار في نفسه - والله أعلم - عن الحكمة من ورائها، فجاءت القصة كلها إجابة على لسان الخضر؟. نقول ربما استحى موسى عليه السلام أن يسأل أمين الوحي عن أشياء تتعلق بشخصه ولا تتعلق برسالته، كما أن موسى عليه السلام أجاب السائل عن أعلم الناس، فقال: أنا أعلم الناس فكان إرساله إلى الخضر عليه السلام خطابا من الله ﷻ له بمعنى: كيف تكون أعلم الناس وأنت لا تجد تفسيرا لأحداث وقعت لك في حياتك، فكان اللقاء أبلغ في دلالته حين أراه الخضر عليه السلام ما أثار تساؤله والمراد إجابته على أسئلة لم يطلع عليها إلا الله ﷻ.

وإلى هذا المعنى أشار ابن حجر العسقلاني بقوله "ذكر الثعلبي: أن الخَضْر قال لموسى: أتلومني على خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، ونسيت نفسك حين أُلقيت في البحر، وحين قَتَلْت القبطي، وحين سقيت ابنتي شعيب احتسابا".[1]

ونحن لا نُجِد أهداف القصة في تلك المعاني فقط بل إن أهدافها أجلّ من أن تحصى وفيها توجيهات للصالحين وفوائد كبيرة لعباد الله المؤمنين، على سبيل المثال لا الحصر:-

١- لا يدعي أحد أنه أعلم الناس، بل يَكِلُ علم ذلك إلى الله.

٢- الحث على طلب العلم والمثابرة والمداومة عليه.

٣- السفر وتجشم المشاق لتحصيل العلم ولقاء الصالحين، وذلك قوله تعالى: ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾.[2]

٤- جواز إطلاق لفظ الفتى على التابع.

٥- أدب الفتى مع سيده، وعدم تدخله في أموره، حيث لم يشر القرآن الكريم إلى أي لفظ لفتى موسى بعد لقائه الخضر عليهما السلام.

٦- جواز التصريح بنسبة الخطأ والنسيان إلى الشيطان ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾

---

١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٣٩:٨

٢ سورة الكهف آية ٦٠

٧- حسن معاملة النبي الكليم لفتاه، حيث لم يوجه إليه أي لوم عندما فارقا الصخرة.
٨- الإستئذان في صحبة الصالحين ﴿هل أتبعك﴾.
٩- حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم ﴿مما عُلِّمتَ رشدا﴾.
١٠- جواز اختبار صدق المتعلم، وتنبيهه عند المواقف التي قد لا يتحملها، وتكليفه بما يراه مناسبا ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾.

١١- إبداء العذر من العالم للمتعلم ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به﴾.
١٢- صدق العزم من المتعلم على تلقي العلم وحصول الفهم وذلك في قوله: ﴿ستجدني إن شاء الله صابرا﴾.
١٣- حسن أدب المتعلم مع معلمه، وتلقي شدته بالبشر ﴿ولا أعصي لك أمرا﴾.
١٤- تعلق الرجاء في الله وطلب العون منه سبحانه في حصول العلم ﴿إن شاء الله﴾.
١٥- عهد المتعلم على نفسه بعدم مخالفة أمر معلمه ﴿ولا أعصي لك أمرا﴾.
١٦- قبول الاعتذار بالنسيان إذ الناسي لاتتوجه عليه حقوق الله والحرج مرفوع عنه شرعا ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾.
١٧- جواز تغليظ المتعلم فيما يراه العالم نفعا وإرشادا ﴿ألم أقل لك﴾.
١٨- قيام العذر في المخالفه للمرة الأولى والحجة في المرة الثانية.
١٩- جواز الإخبار بالتعب والمرض ونحوه ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾.
٢٠- جوازّ طلب القوت والضيافه ﴿فاستطعما أهلها﴾.

٢١- جواز قبول الهدية ويدل على ذلك ركوب السفينه بغير أجر.
٢٢- جواز المعاملة بالمثل فإذا بخل القوم بالضيافه جاز طلب الأجر.
٢٣- جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما ﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾.
٢٤- جواز إفساد بعض المال لإصلاح معظمه ﴿فأردت أن أعيبها﴾.
٢٥- الإغضاء عن بعض المنكرات مخافة أن يتولد من دفعها ماهو أشد.
٢٦- من يتوجه إلى ربه يعينه فحينما ذهب موسى لميقات ربه لم يشعر بتعب ولا نصب، ولما توجه إلى مدين أصابه الجوع والتعب ﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ وحين سار إلى لقاء الخضر قال لفتاه: ﴿آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾.

٢٧- حسن الأدب مع الله وأن لايضاف اليه ما يستهجن لفظه وإن كان الكل بتقدير الله وخلقه لذلك تنوعت ألفاظ الخضر:

* ﴿فأردت أن أعيبها﴾ حيث ألحق إرادة عيب السفينه إلى نفسه.

* ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾ قَسَّمَ الإرادة هنا بين الله ﷻ وبين نفسه، فجعل إرادة الله متعلقة بخلق مولود جديد، وإرادته هو في قتل الغلام.

* ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ لم يجعل له دخل في هذا الأمر والإرادة هنا لله وحده.

٢٨- عدم التغاضي عن أحكام الشريعة مهما كانت الظروف فموسى وهو متوجه بأمر الله للقاء الخضر لم يعطل أحكام الشريعه ولا أمره الخضر بذلك، كما لم يوجه له القرآن الكريم أي لوم على تمسكه بما أنزل الله عليه في التوراة ولو كان في حضور الخضر.

٢٩- دقة وصف موسى عليه السلام لما يراه عملا بالحكمة القائلة لكل مقام مقال:

* وصف خرق السفينة الذي يمثل خطرا محتملا بقوله: ﴿لقد جئت شيئا إمرا﴾.

* وقتل الغلام كان الخطر واقعا والمنكر عظيما فناسبه: ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾.

* أما بناء الجدار فكان اقتراحا لموسى فناسبه: ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾.

٣٠- زيادة في تعليم موسى عليه السلام، فموسى وإن كان أعلم بني إسرائيل، إلا أنه ليس بأعلم أهل الأرض، فهذا الوصف لاينبغي إلا لمحمد ﷺ فهو أعلم أهل زمانه بل وجميع الأزمنه، فكان لقاء موسى والخضر عليهما السلام لبيان أن الله جعل في زمانه من يتلقى عنه وحيا لاتتفق أحكامه مع شريعة موسى الكليم.

٣١- المزية لا تقتضي الأفضلية: فليس معنى معرفة الخضر بعلم لا يعرفه موسى عليهما السلام، أن للخضر مزية على موسى عليهما السلام.

٣٢- ماجرى على يد الخضر عليه السلام أجاب موسى عليه السلام عن وقائع في حياته لم يكن يعلم حكمتها وفي نفس الوقت أضاف قاعدة هامة عند تطبيق نصوص الوحي المنزل على موسى ألا وهى اختيار الأقل ضررا اتقاءً لضرر أكبر فهذه القاعده دارت عليها الأحداث الثلاثة التي قام بها الخضر.

ثانيا: المدهش من كلام ابن الجوزي

وننقل عن أبي الفرج بن الجوزي من كتابه المدهش حقا تعليقه المدهش على قصة موسى والخضر عليهما السلام حيث يقول: "لما علا شَرَف الكليم بالتكلم كل شَرَفٍ، قال له قومه: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، ولم يقل فيما أعلم، فابتلي فيما أخبر به وأعلم، فقام بين يدي الخضر، كما يقوم بين يدي السليم الأعلم، فابتدأ بسؤال هل ﴿أتبعك﴾. فتلقاه برد ﴿لن﴾ وكم أَنَّ موسى؟ من "لن":

* أمر قومه بالإيمان فقالوا: ﴿لن نؤمن﴾.
* وقعوا في التيه فقالوا: ﴿لن نصبر﴾.
* نُدبوا إلى الجهاد فصاحوا: ﴿لن ندخلها﴾.
* طرق باب ﴿أرني﴾. فرده حاجب ﴿لن﴾.
* دنا إلى الخضر للتعلم، فلفظه بلفظ ﴿لن﴾.

ثم زاده من زاد الرد بكف ﴿وكيف تصبر﴾.

فلما سامحه على نوبة السفينة، وواجهه بالعتاب في كرّة الغلام، أراق ماء الصحبة في جدال الجدار ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾.

ثم فسر له سر المشكل، فجعل يشرح القصص فصلا فصلا، بمقول قائل يقول فصلا[١]، وكلما ذكره أصلا أصلى[٢]، لم يبق لموسى عين تراه أصلا، وكلما سل[٣] من حر العتاب نصلا، صاح لسان حال موسى: كم نَصْلَى؟ فألقى تفسير الأمور على الكليم وأملى، والقدر يقول: أهو أعلم أم لا؟ فعلم موسى ويوشع أي عبد أَمَّا[٤]، منذ ابتدا بالشرح ب ﴿أما﴾. ثم أخذ لسان العتاب يذكر منسى موسى، أتنكر خرق سفينة؟ لظاهر إفساد تضمن ضمنه صلاح ﴿وَلَكُمْ فِي القصاص حياة﴾. أو تنكر إتلاف شخص دني لإبقاء دِينِ شخصين؟ أو كرهت إقامة الجدار

---

١ فصلا الأولى بمعنى جزءا، أما فصلا هنا بمعنى واضحا قاطعا لا لبس فيه ولا غموض

٢ المراد من أصلا أي موضوعا، وأصلى بمعنى أحرق أي أجاب جوابا شافيا، كأنه قضى على السؤال بحرقه، حتى كأن موسى لم يعد يرى سؤاله من أساسه

٣ سل هنا تشبيه للعتاب كأنه إخراج لسيف اللوم أو نصله من غمده

٤ أمّا أي قصدا والمقصود علما قدر الخضر وعلمه

لِشُحِّ أهل القرية بالقِرَى[1]، أفأردت من الأصفياء معاملة البخلاء بالبخل، أما تلمحت سر صل من قطعك.

* لقد أنكرت ما جرى لك مثله، حذرت يوم السفينة من الغرق،
فصحت بإنكار ﴿أخرقتها﴾[2] أنسيت يوم ﴿فألقيه في اليم﴾.[3]
* أنكرت قتل نفس بغير نفس، أنسيت يوم ﴿فَوكزه﴾.[4]
* نهيت عن عمل بلا أجر، أنسيت يوم ﴿فسقى لهما﴾.[5]

فلما بان البيان، خرج الخضر من باب دار الدعوى، وأخرج يده من ملك التصرف،[6] وأحال الحال على الغير ﴿وما فعلته عن أمري﴾.

وهذه القصة قد حرضت على جمع رحل الرحيل في طلب العلم، وعلمت كيفية الأدب، وفي كف[7] الاعتراض على العالم، وصاح فصيح نصيحها بذي اللب، دع دعواك فعلى دعوى الكليم ليم[8]، وفوق كل ذي علم عليم".[9]

---

١ القِرَى: حق الضيافة
٢ سورة الكهف آية ٧١
٣ سورة القصص آية ٧
٤ فوكزه وردت في الكتاب لو كره، وأظن أنها تصحيف من النساخ والله أعلم
٥ سورة القصص آية ٢٤
٦ المراد أن الخضر ينفي عن نفسه دعاوى التصريف التي يؤمن بها الصوفية، ولا ينسب ما فعله لقدرته على هذه الأفعال من ذاته، ولكنه مأمور من الله سبحانه وتعالى، ومثل هذا الأمر لا يصدر إلا لنبي.
٧ كف هنا بمعنى التوقف عن الفعل أو القول
٨ ليم هنا من اللوم والعتاب
٩ المدهش أبو الفرج بن الجوزي ٩٩ - ١٠١

ثالثا: تعقيب هام

لو كان هدف القرآن من رواية قصة موسى والخضر عليهما السلام إقتداء الصحابة بها واتباع ما جاء فيها، لتوقفت أسئلة الصحابة لرسول الله ﷺ عن أي شيء، قياسا على قول الخضر: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾.[1] فرسول الله ﷺ. أولى بهذا من الخضر، وقياسا على قول موسى عليه السلام ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾. خاصة وأن سورة الكهف وطه ومريم من أول ما نزل بمكة، وهي السور التي يصفها رسول الله ﷺ في الحديث الشريف: ﴿هن من العتاق الأول وهن من تِلادي﴾.[2] وتلادي: أي من أقدم ما نزل من القرآن الكريم.

فذكر القرآن الكريم لهذه القصة لم يكن للاقتداء بها، وهذا الفهم كان واضحا عند الصحابه رضى الله عنهم لذلك ورد في القرآن الكريم العديد من أسئلتهم للنبي ﷺ ليس فقط عن الحلال والحرام وإنما عن كل شيء خطر على بالهم مثل: الأهلة والشهر الحرام والخمر والميسر والمحيض والساعة والأنفال والجبال وعن ذي القرنين، حتى عندما سألوه عن الروح جاء رد الوحي جميلا: ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾.[3] ولا لوم ولا عتاب، وكتب السنة الصحيحة لا تخلوا من عشرات بل مئات من أسئلة الصحابه رضوان الله عليهم وإجابات النبي ﷺ.

إننا حين نتأمل هذه الحكم والدروس الكثيرة التى تعلمناها من قصة موسى والخضر عليهما السلام نشعر أن أصحاب الفهم المنحرف قد حصروا أنفسهم في دائرة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن وهي دائرة ضيقة من الفهم لا لشيء إلا لخدمة أهوائهم.

ومن العجيب أن الناس انحرفوا عن هذه الحقائق الواضحة وما تدبروا في شرح الخضر لموسى عليهما السلام عن مثل علم البشر وعلم الله، وشغلوا أنفسهم في تقسيم قطرة الماء التي نقرها العصفور من البحر إلى قسمين: علم الشريعة وأطلقوا عليها العلم الظاهر وهي نصيب موسى، بينما نال الخضر علم الحقيقة المسمى بالعلم الباطن، ثم راحوا يتساءلون أي العِلْمَين أفضل وأيهما أرقى، فحشروا عقولهم في متاهة الاختلاف وتركوا المراد من القصة

---

١ سورة الكهف آية ٧٠

٢ أخرجه البخاري في تفسير القرآن ٤٣٣٩ / ٤٣٧٠ وفي فضائل القرآن ٤١٦٠

٣ سورة الإسراء آية ٨٥

كلها، ثم راحوا يضيفون من خيالهم مبالغات خطيرة وصلت إلى حد مطابقة علم الحقيقة بعلم الله ﷻ. والـزعم أن علـوم الأوليـاء ومـا أطلقـوا عليهـم الأقطـاب والأئمـة والأبدال وأهـل الخصـوص تحيـط بالأبحر السبعة كلها، حتى أحاطت من العرش إلى الفرش،[1] وسيكون لنا بإذن الله تعالى وقفة مع هذه المسميات في الكتاب الرابع من هـذه السلسلة الذي يتناول الصوفية.

ترك الباطنيون كـل هذه العبر وسـاروا وراء أنصار الفكر البـاطني عند فلاسفة اليهود والنصارى - كما سنبين في الكتاب الثاني من هذه السلسلة عن تاريخ الباطنية - وبالتالي ذهبوا إلى القول بالعلم الظاهر والعلم الباطن وأن علم الخضر هـو ثمرة باطنية وأنوار تقذف وهبًا من الله في قلب العبد تطلعه على حقائق الأمور وبواطنها، بينما علم موسى عليه السلام مسطور في التوراة ومداره على الأحكام الظاهريه في مقام الشريعة.

ولا يخفى أن هذا الفهم القاصر يتضمن أيضا الإساءة إلى مقـام الكليم، لذلك ينبغي أن نُذَكِّرهم بمقام موسى عليه السلام فنقول وبالله تعالى التوفيق:-

١- موسى عليه السلام من أولى العزم من الرسل وهو النبي المصطفى على الناس بكلام الله ورسالاته، قال تعالى: ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾.[2]

٢- أنزل الله عليه التوراة وكتب ألواحها بيديه.

٣- هـو أول من يفيق مـع نبينا محمد ﷺ يوم القيـامة ويتعلـق بالعـرش، كمـا ورد فـي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيـامة، فـأصعق معهـم فـأكون أول مـن يفيـق، فـإذا موسى باطش جانب العـرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله﴾.[3]

٤- وهـو الذي خر صعقا من أثر تجلي ربنا سبحانه وتعالى على الجبل وهو القائل ﴿قال

---

١ أشرنا إلى فهم الصوفية عن علم الأولياء كما ذكر الشعراني على لسان الشاذلي، وسيأتي بيان واف عن عقائد الصوفية في كتاب سيصدر قريبا بتوفيق الله تعالى يوضح مفاهيم الصوفية عن أوليائهم ومراتبهم.

٢ سورة الأعراف آية ١٤٤

٣ متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الخصومات حديث رقم ٢٢٣٤ وأحاديث الأنبياء ٣١٥٦ / ٣١٦٢، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل ٢٣٧٣ / ٢٣٧٦، وأبو داود في السنة ٤٦٧١، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ٣٢٤٥، وأحمد في مسنده ٢٦٤:٢

رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾.[1]

٥- يرى أنصار تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن في خرق الخضر للسفينة علما باطنيا، أرقى من العلم الظاهر الذى أوتيه موسى عليهما السلام، نقول لهم: إن الخضر عليه السلام أنقذ سفينة واحدة لمساكين يعملون في البحر، وترك باقي السفن تحت سطوة الملك الظالم، وهذا علم باطني فما ترون في خرق موسى عليه السلام للبحر الأحمر بعصاه، وفي طرفة عين جعل الله له البحر فرقتين، كل فرق كالطود العظيم، بينهما طريق يحتاج إلى سنوات ليجف ويصبح صالحا يابسا، تمر فوقه بنو إسرائيل بدوابهم وأمتعتهم حتى آخر نفس فيهم، ثم ينطبق البحر على الظالمين فيهلكهم جميعا وعلى رأسهم فرعون الملك الظالم، بالله عليكم ماذا نسمي هذه المعجزة؟ أهي: علم ظاهر أم باطن بميزانكم، فهذا موسى عليه السلام يسلك بقومه طريقا لا يؤدي إلا إلى ساحل البحر الأحمر، وقد أدرك بنو إسرائيل الفزع من مطاردة فرعون لهم، وسعيه وراءهم حتى اقتربوا من ساحل البحر قالوا: ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾.[2] فأجابهم الكليم عليه السلام مطمئنا لهم: ﴿قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾.[3]

٦- لم يتلق موسى عن ربه معجزة العصا وحدها، وإنما أوتي تسع آيات بينات، لكل منها أثره في خدمة الدعوة ومواجهة الكافرين والمعاندين، ولا وجه للمقارنة بين هذه المعجزات وبين خرق السفينة أو قتل الغلام أو إقامة الجدار.

إن من يستدل من قصة موسى والخضر على علمي الظاهر والباطن عليه أن يتتبع المعجزات والآيات التى لا تعد ولا تحصى والتي أجراها الله ﷻ على يدي موسى عليه السلام وأن يراجع نفسه، أمن العقل أن نسمي مواقف الخضر الثلاثة علما باطنيا، وآيات موسى التسع علما ظاهريا؟ ما لكم كيف تحكمون؟!

---

١ سورة الأعراف آية ١٤٣

٢ سورة الشعراء آية ٦١

٣ سورة الشعراء آية ٦٢

ملخص الباب الثالث

* لقاء الخضر مع نبي الله تعالى وكليمه موسى عليهما السلام يتضمن عشرات الحكم والعبر، وليس فيها أي دليل على تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وكل دعاوي الباطنية المقامة على هذه القصة ساقطة.

*إن علم موسى والخضر عليهما السلام إلى جنب علم الله تبارك وتعالى كقطرة ماء في بحر لا نهاية له، والمطلوب منا أن نتفكر في عظمة البحر واتساعه، ولا نشغل أنفسنا بتقسيم قطرة الماء إلى ظاهر وباطن.

* أن أدب موسى مع الخضر عليهما السلام، لا يعني رفعة مقام الخضر على موسى، فالمزية لا تقتضي الأفضلية، فكلاهما نبي لله ومبلغ عنه، والله تعالى يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس.

* إن من يتفكر في حياة موسى عليه السلام، يرى آيات عظيمة وأمورا عجيبة أعجب مما أجراه الله على يدي الخضر عليه السلام: من أول إلقائه في اليم، ثم تربيته في بيت عدوه، ثم جمعه على أمه وحضانتها له في بيت الطاغية، ثم قتله المصري، وإقامته عند شعيب ولقائه به وتزويجه من ابنته، ثم انبعاث الرغبة في قلبه ليعود إلى مصر، ثم تلقيه النبوة وخطاب الله له، ثم إرساله إلى فرعون في تسع آيات بينات، ثم العصى ووقائعها المثيرة، ثم وقوع الآيات، ثم خروجه وقومه من مصر، ثم شق البحر الأحمر وتحول قاعه إلى طريق يابس يسير عليه الضعفاء، ثم تطبق مياهه على الظلمة والجبارين، ثم تلقيه الألواح ولقائه ربه في ميقات أربعين يوما، إلى آخر يوم من حياته، هل يمكن أن نسمى ذلك علم ظاهر، وشريعة، ثم نسمي ثلاث وقائع للخضر أنها البواطن والعلم اللدني التي تسمو على الشريعة، تلك إذن قسمة ضيزى.

* أن من جملة الفوائد التي استفدناها من هذا اللقاء نطمئن إلى أن أفعال الخضر أمام موسى عليه السلام أَجَابَتْهُ على أمور ثلاثة وقَعَتْ في حياته.

* لم يقص علينا القرآن الكريم لقاء موسى والخضر عليهما السلام للاقتداء والاتباع.

الباب الرابع

العلم اللدني

١- فكرة العلم اللدني

٢- القرآن يرد دعوى الباطنية

٣- مناقشة هادئة للفكر الباطني

الفصل الأول

فكرة العلم اللدني

١- أهناك علم عندي وعلم لدني؟

* تعريف العلم اللدني
* أنواع العلم اللدني

٢- "عند" في اللغة والقرآن

٣- "لدن" في اللغة والقرآن

٤- مقارنة "عند" و "لدن"

الفصل الأول: فكرة العلم اللدني

تحدثنا في الباب السابق عن قصة موسى والخضر عليهما السلام، ولم نهدف إلى مناقشة فكرة نظرية مجردة، وإنما أردنا أن نناقش الأساس الذي بنت عليه الفرق الباطنية معتقداتها، فإذا أظهرنا أن لقصة موسى والخضر أبعادا أخرى، ولا تتضمن الأسس التي قامت عليها أفكار هؤلاء، أصبحت معتقداتهم كقصور بناها صبية على الرمال.

وقلنا أيضا أن الباطنية يرون في إقامة الجدار وقتل الغلام وخرق السفينة علما لدنيا، أسمى من الشريعة وإلا ما تكبد موسى مشقة السفر لينال علما هو يملك مثله أو أفضل منه، وفات هؤلاء عقد المقارنة بين خرق السفينة حتى تنجو من بطش الملك الظالم الذي يؤمم سفن الفقراء غصبا، وبين الآيات التسع التي مَنَّ الله تبارك وتعالى بها على موسى ومنها خرق البحر الأحمر، ليس لتنجو بذلك سفينة، وإنما لتنجو به أمة بني إسرائيل، ليس فقط أشداؤهم بل شيوخهم ورضعهم وأطفالهم ودوابهم ومتاعهم، ليس هذا فقط، بل ويهلك في نفس موضع النجاة، ويغرق الملك الظالم وخيله وخيلائه، وصلفه وغروره.

ونستكمل بتوفيق الله تبارك وتعالى تدارس هذا الأمر فيما يلي:-

أولا: أهناك "علم عندي" "وعلم لدني"؟

❊ تعريف العلم اللدني

تقوم عقيدة الصوفية ومن ورائهم الفرق الباطنية على إثبات العلم اللدني - والذي أطلقوا عليه بعد ذلك العلم الباطني - وأنه يختلف عن العلم الظاهر الذي هو الشريعة، وسنطلق عليه هنا تعبير "العلم العندي"، فقط لنناقش من خلاله فكرة العلم اللدني، ونبدأ أولا بعرض أقوال الصوفية المؤيدين لفكرة العلم اللدني وتعريفاتهم له:

١- يُعَرِّف الصوفية العلم اللدني بقولهم: "هو العلم الذي يتعلمه العبد من الله تعالى من غير واسطة ملك أو نبي، بالمشافهة والمشاهدة، كما كان للخضر عليه السلام، وقيل: هو معرفة ذات الله تعالى وصفاته علما يقينيا من مشاهدة وذوق ببصائر القلوب".[١]

٢- يقول الصوفية أيضا: "العلم اللدني: هو فوق العلم الباطن لأن الأخير مختص بالأحداث الجزئية، أما العلم اللدني فهو الموصول بعين الذات، فهو ماء متفجر من النبع مباشرة، وقد

---

١ معجم مصطلحات الصوفية د.عبدالمنعم الحفني ١٨٨

تميز هذا اللون من العلم بتعبير المنامات بما يناسب الحدث، ويبين في الوقت نفسه عن أحداث المستقبل نظرا لاتصال هذا العلم بديمومة العلم الإلهي الطاوية للزمن ولأحداثه والمنبئة بها".[1]

٣- يقول القشيري في اللطائف: "قيل العلم من لدن الله ما يتحصل بطريق الإلهام دون التكلف بالطلب، ويقال: ما يُعَرِّفُ به الحق سبحانه الخواص من عباده، ويقال: ما يُعَرِّفُ به الحق أولياءه فيما فيه صلاح عباده، وقيل: هو ما لا يعود منه نفع إلى صاحبه، بل يكون نفعه لعباده مما فيه حق الله سبحانه، ويقال: هو ما لا يجد صاحبه سبيلا إلى جحده، وكان دليلا على صحة ما يجده قطعا، فلو سألته عن برهانه لم يجد عليه دليلا، فأقوى العلوم أبعدها عن الدليل".[2]

٤- يقول الهروي في منازل السالكين: "العلم اللدني، إسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعمته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب" ويشرح ابن القيم عبارة الهروي بقوله:

"يشير القوم بالعلم اللدني إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله، وتعريف منه لعبده،.. والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله، وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به،.. وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتقيد بهما فهو من لدن النفس والهوى والشيطان، فهو لدني، ولكن من لدن من؟ إنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا: بموافقته لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ.

فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني بطناوي، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ".[3]

٥- يقول الفخر الرازي: قالوا إن "عند" للأمر الظاهر، و "لدن" للأمر الباطن، وقوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾.[4] يقتضي أنه تعالى عَلَّمَهُ لا بواسطة تعليم معلم، ولا إرشاد مرشد.

٦- "العلم اللدني" يسميه بعض الصوفية بعلم الحقائق، ويقول صوفي آخر: "إن علم

---

١ النصوص في مصطلحات الصوفية محمد غازي عرابي ٢٣٦

٢ لطائف الإشارات للقشيري ٤٠٨:٢

٣ مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" لابن القيم ٤٩٦:٢

٤ سورة الكهف آية ٦٥

الحقائق والكشوف ينافي علم الظاهر، فلا ينبغي للعالم الحاكم بالظاهر الذي هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتنافي، ولا ينبغي للعالم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر الذي ليس مكلفا به الذي ينافي ما عنده من الحقيقة".[1]

١ الأعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام لأبي الفضل عبدالله الصديق الغماري ٢٢

❊ أنواع العلم اللدني

يفرق الفيروزابادي في كتابه بصائر ذوي التمييز في "بصيرة في علم"[1] بين "لدن" و "عند" فيقول: قال الله ﷻ ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾.[2]

وفَرَّق بين الرحمة والعلم وجعلهما من عنده ومن لدنه إذ لم يكن نيلهما على يد بشر، وكأن من لدنه أخصّ وأقرب مما عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾.[3] فالسلطان النصير الذي من لدنه أخص من الذي عنده وأقرب، وهو نصره الذي أيده به، قال تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾.[4]

ويستدل الفيروزابادي على وجود العلم اللدني كما يستدل غيره بقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فيقول: "ومن أقسام العلم: "العلم اللدني": وهو ما يحصل للعبد بغير واسطة، بل إلهام من الله تعالى، كما حصل للخضر بغير واسطة موسى...

و"العلم اللدني": ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ومن كتابه وسنة رسوله، وكمال الإنقياد له، وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما فهو من لدن النفس والشيطان، فهو لدني، لكن من لدن من؟

وإنما يعرف كون العلم لدُنيا روحانيا بموافقته لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ. فالعلم اللدني نوعان: لدن رحماني، ولدن شيطاني وبطناوي، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ

و"العلم اللدني الرحماني": هو ثمرة هذه الموافقة والمحبة التي أوجبها التقرب بالنوافل بعد الفرائض، و"اللدني الشيطاني": هو ثمرة الإعراض عن الوحي بحكم الهوى".[5]

فالصوفية إذن منقسمون إلى فريقين:

---

١ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزابادي ٩٣:٤

٢ سورة الكهف آية ٦٥

٣ سورة الإسراء آية ٨٠

٤ سورة الأنفال آية ٦٢

٥ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزابادي ٨٨:٤ – ٩٥

الفريق الأول: لا يرى مخالفة العلم الباطن للشريعة، بل هو ثمرتها وحصيلة الإقتداء بها، وهم في نفس الوقت يضربون بأفعال الخضر مع موسى المخالفة للشريعة المثل والدليل على وجود العلم الباطن، وبالتالي لا يضعون حدا فاصلا لطبيعة الاختلاف بين العلم العندي واللدني.

الفريق الثاني: يرى ضرورة مخالفة العلم الباطن للشريعة، بل يدعو أتباعه إلى عدم الاعتراض على من يخالف الشريعة وهو في مقام الحقائق.

بينما يقول الإمام ابن القيم: "إن العلم الحاصل بالشواهد والأدلة هو العلم الحقيقي، وأما ما يدعي حصوله بغير شاهد ولا دليل، فلا وثوق به (وليس بعلم). نعم قد يقوي العلم الحاصل بالشواهد ويتزايد بحيث يصير المعلوم كالمشهود، والغائب كالمعاين، وعلم اليقين كعين اليقين، فيكون الأمر شعورا أولا، ثم تجويزا، ثم ظنا، ثم علما، ثم معرفة، ثم علم يقين، ثم حق يقين، ثم عين يقين، ثم تضمحل كل مرتبة في التي فوقها، بحيث يصير الحكم لها دونها، فهذا حق. وأما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال، فليس بصحيح، فإن الله سبحانه ربط التعريفات بأسبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدله عليه"[١].

لذا ينبغي أن نتعرف على دلالات لفظتي: "عند ولدن" في اللغة والاختلاف بينهما، ثم نتدارس الاستخدام القرآني لهما، وهل يخص القرآن إحدى هاتين اللفظتين بشيء دون الآخرى، أم أن القرآن لا يفرق بينهما، ومن ثم نفند مزاعم الباطنية عن العلم اللدني.

---

١ مدارج السالكين لابن القيم نقلا عن الكتاب القيم موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى للدكتور يوسف القرضاوي ٧٣

ثانيا: "عند" في اللغة والقرآن

"عند" في اللغة

* جاء في الجزء الثاني من المعجم الوسيط أن:

"عند": ظَرف مكان للشيء الحاضر والقريب أو للغائب، يستخدم للزمان إذا أضيف إلى زمان، وللمكان إذا أضيف للمكان.

* وفي لسان العرب لابن منظور:

"عند": لحضور الشيء ودُنُوِّه، وفيها ثلاث لغات [عَنْد، عِنْد، عُنْد]، وهي ظرف في المكان والزمان، فتقول "عند الحائط"، "وعند الليل"، وقال الأزهري: وهي في أقصى درجات القرب، ولذلك لم تُصَغَّرْ.

* وفي كتب النحو يقول ابن هشام:

"عند": اسم لحضور الحس، لقوله تعالى: ﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾.[1]

وهي أيضا اسم للحضور المعنوي: قال تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾.[2]

وهي أيضا اسم للقرب: قال جل شأنه: ﴿عند سدرة المنتهى﴾.[3] ونحو قوله تعالى: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾.[4]

"عند" في القرآن

إذا تتبعنا استخدام القرآن للفظة "عندنا" و"عنده" نجدهما يعبران عن الموضوعات الآتية:-

* الحق والرحمة من عند الله

يقول تعالى: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾.[5] وقال عز من قائل: ﴿فاستجبنا له فكشفنا

---

١ سورة النمل آية ٤٠

٢ سورة النمل آية ٤٠

٣ سورة النجم آية ١٤

٤ سورة ص آية ٤٧

٥ سورة القصص آية ٤٨

ما به من ضُر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾.[1]

* الأمر من عند الله

يقول الله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾.[2] وقال تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾.[3]

* النصر من عند الله

يقول جل شأنه: ﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾.[4]

وكذا قوله سبحانه: ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾.[5]

* النعمة وخزائن كل شيء عند الله

قال تعالى: ﴿نعمة من عندنا كذلك نجري من شكر﴾.[6] ويقول جل شأنه: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾.[7]

* الزلفى والمكانة عند الله

قال تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.[8] وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾.[9] ويقول سبحانه: ﴿والله عنده حسن الثواب﴾.[10]

* مفاتح الغيب عند الله

---

١ سورة الأنبياء آية ٨٤

٢ سورة الدخان آية ٤ – ٥

٣ سورة المائدة آية ٥٢

٤ سورة الأنفال آية ١٠

٥ سورة آل عمران آية ١٢٦

٦ سورة القمر آية ٣٥

٧ سورة الحجر آية ٢١

٨ سورة ص آية ٢٥

٩ سورة ص آية ٤٧

١٠ سورة آل عمران آية ١٩٥

يقول عز من قائل: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾.[1]

ثالثا: "لدن" في اللغة والقرآن

"لدن" في اللغة

* من معاني "لدن" في اللغة ما جاء في المعجم الوسيط أن:

"لدن" : ظرف زماني ومكاني غير متمكن بمنزلة "عند" إلا أنه أقرب مكانا من "عند"، وأخص منه، فإن "عند" تقع على المكان وغيره، ولا تستعمل إلا في الحاضر بخلاف "عند" فتقول "لديَّ مال" إذا كان حاضرا.

* في لسان العرب:

"لدن" : بكل لغاتها ظرف زمان ومكان معناه عند. قال الليث: "لدن" في معنى "من عند"، إلا أنه أقرب مكانا من "عند"، وأخص منه فإن "عند" تقع على المكان وغيره، وتقول لي "عند فلان مال" أي في ذمته، ولا يمكن ذلك في "لدن".

"لدن" في القرآن الكريم

وردت "لدن" في القرآن الكريم سبع عشرة مرة وتناولت الموضوعات الآتية:-

* القرآن والذكر والآيات من لدن الله

إذا استعرنا أسلوب الباطنية في الاستدلال على العلم اللدني بقول الله تبارك وتعالى وعلمناه من لدنا علما، فيمكننا القول أن القرآن الكريم يحدد طبيعة العلم اللدني أيضا بأنه: الوحي والنبوة والقرآن وذلك قوله: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾.[2] وقوله عز من قائل: وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾.[3] وقوله جل شأنه في سورة هود: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾.[4] فإذا دلت آية العلم اللدني في قصة موسى والخضر عليهما السلام، فهناك ثلاث آيات تقرر أن الشريعة - التي هي: الوحي والنبوة والقرآن - هي في

---

١ سورة الأنعام آية ٥٩

٢ سورة النمل آية ٦

٣ سورة طه آية ٩٩

٤ سورة هود آية ١

حقيقتها علما لدنيا، فكيف يتعارض العلم الباطن مع العلم الظاهر وكلاهما علما لدنيا؟.

* الرحمة والحنان من لدن الله

الله تعالى يهب الرحمة من لدنه قال سبحانه: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾.[1] وفي قصة أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا﴾.[2] والله سبحانه يتفضل بالحنان على أوليائه كما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا﴾.[3]

* الأجر العظيم من لدن الله

قال تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾.[4] فالناس لا يُظلمون بين يدي المولى جل شأنه، بل تُضاعف حسناتهم أضعافا كثيرة، ثم يُؤْتَوْن من لدنه أجرا عظيما وثوابا جزيلا.

* الولاية والنصر من لدن الله

قال تعالى: ﴿واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾.[5] فالولاية والنصر عطاء من لدن الحق سبحانه وتعالى.

* العذاب والبأس من لدن الله

قال تعالى: ﴿قَيِّما لينذر بأسا شديدا من لدنه﴾.[6]

* الرزق من لدن الله

قال تعالى: ﴿أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا﴾[7]

---

١ سورة آل عمران آية ٨

٢ سورة الكهف آية ١٠

٣ سورة مريم آية ١٣

٤ سورة النساء آية ٤٠

٥ سورة النساء آية ٧٥

٦ سورة الكهف آية ٢

٧ سورة القصص آية ٥٧

* الذرية الصالحة من لدن الله

قال سبحانه: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾.[1]

وكذا دعا نبي الله زكريا عليه السلام ربه ﷻ قال: ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾.[2] والمراد بالولي هنا الولد الصالح والله أعلم.

رابعا: مقارنة "لدن" و "عند"

في اللغة

وجاء في النحو الوافي لعباس حسن ما يلي: "لدن" و "عند": ظرفان مبهمان ملازمان للإضافة، وفائدتهما الدلالة على مبدأ الغاية الزمانية أو المكانية، ويوضح الغاية بقوله: "إن الغاية سواء كانت مكانية أو زمانية لابد من توافر نقطة البدء لها، ونقطة النهاية، وبينهما مسافة محصورة.

وتدخل "لدن" على كلمةٍ هو ابتداء الغاية، فدخولها على هذه الكلمة يرشد أنها أول جزء من أجزاء الغاية، أو أنها نقطة البداية، فتقول: "سافرت من لدن البيت إلى الضاحية"، فالبيت هو ابتداء الغاية، ثم قال: ولو استخدمت "عند" مكان "لدن" لم يتغير الأمر.

في القرآن

حاولنا في بحثنا هذا الوصول إلى فرق واضح بين "عند" و"لدن" في اللغة والإستخدام القرآني، وقد وجدنا أن كثيرا من العلماء لا يرون فارقا بينهما على الإطلاق، وفي نفس الوقت يُفرق الصوفية بينهما، ويرون أن القرآن استخدم للرحمة تعبير من "عندنا"، واستخدم للعلم "لدنا"، وبالتالي هناك "علم لدني" هو زبدة الشريعة وما يسمو فوقها أو هو بمنزلة اللب من القشر، ونحن نختلف معهم في هذا التقسيم ، وسنحاول إثبات عكس كلامهم من استخدام القرآن للكلمتين: "عند" و "لدن"، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

* القرآن لا يفرق بين "عند" و"لدن" في الحديث على الرحمة والحنان وكشف الضر: قال تعالى: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا

---

١ سورة آل عمران آية ٣٨

٢ سورة مريم آية ٤

وذكرى للعابدين ﴾.[1] وقال سبحانه:﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾.[2]
وكذا قوله تعالى: ﴿أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ﴾[3].
﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾.[4]

* القرآن لا يفرق بين "عند" و"لدن" في الحديث عن النصر والولاية، قال تعالى: ﴿ واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾.[5] وفي المقابل يستخدم القرآن الكريم لفظ "عند" للنصر، فهو من عند الله، ومن لدن الله، لا فرق بين عند ولدن في التعبير عن النصر، قال تعالى ﴿وما النصر إلا من عند الله ﴾

* القرآن لا يفرق بين "عند" و"لدن" في الحديث عن أجره سبحانه للصالحين والزلفى والمكانة عنده: قال تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾.[6] ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾.[7]

* كما لا يفرق القرآن بين "عند" و"لدن" في حديثه عن النبوة قال تعالى: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾ وقوله تعالى: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾.[8] قال تعالى ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾.[9] وكذا دعاء زكريا عليه السلام في سورة مريم: ﴿فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾.[10] ومراد دعاء زكريا عليه السلام هو ميراث آل يعقوب وهو النبوة.

---

١ سورة الأنبياء آية ٨٤
٢ سورة آل عمران آية ٣٨
٣ سورة القصص آية ٥٧
٤ سورة الحجر آية ٢١
٥ سورة النساء آية ٧٥
٦ سورة ص آية ٢٥
٧ سورة النساء آية ٤٠
٨ سورة القصص آية ٤٩
٩ سورة القصص آية ٤٨
١٠ سورة مريم آية ٥-٦

الفصل الثاني: القرآن يرد دعاوى الباطنية

يرد القـرآن الكـريم فـي آياته المحكمـات افتراءات الباطنية وتقسيمـاتهم البـدعية منها:

١- يقول تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ ولو كانت مـزاعم الباطنية عن العلم اللدني حقيقـة لاستخدم القرآن فـي هذه الآية "ولدنا" مفاتح الغيب، بدلا من وعنـده مفاتح الغيب.

٢- لـو استخـدمنا أسلوب الباطنية ومنطقهم حول العلم اللدني، فـإنا نقـول لهم إن العلم اللدني الحقيقي هو القرآن الكريم، ومن ينكر قولنا هذا فليقرأ معنا هذه الآيات المباركات:

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾.[١]

* قال عز من قائل: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾.[٢]

* قال تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾.[٣] وهـذه الآيات تقطـع دابر القوم الذين يقولون فـي الدين بآرائهم، ويُقسمون الهدى حسب أهوائهم، فالقرآن يتلقاه رسول الله ﷺ من لدن الحكيم العليم، والذكر وهو المرادف للقـرآن أيضا آتاه الله ﷻ لرسوله ﷺ ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكـرا﴾.[٤] كما أحكم الحق سبحانه آيات كتابه العزيز ثم فصلها من لدنه: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾.[٥]

٣- مصادر الشريعة: "القرآن والوحي والنبوة" هي علوم لدنية بنص القرآن (حسب الفهم الصوفي)، وعلم الخضر عليه السلام علما لدنيا، فكيف يتعارضان، ثم هناك عدد من الأسئلة الهامة التي تفرض نفسها وهي:

لم لا نجد العلم اللدني إلا في المسلك الصوفي، وما التشابه بيـن الخضـر والمسلك الصوفي حتى ينال علم الخضر من خلال الصوفية؟.

لم لا يجد الباطنيون العلم الباطن فـي القـرآن وتدبره وتلاوته والقيام بأوامـره واجتنـاب نواهيـه، والإطلاع على كتب تفسيره والتمـاس حكمـه وقصصـه ومـواعظه وكنوزه وعطائه،

---

١ سورة النمل آية ٦

٢ سورة طه آية ٩٩

٣ سورة هود آية ١

٤ سورة طه آية ٩٩

٥ سورة هود آية ١

والنهل من ورده الذي لا ينضب إلى يوم القيامة، لم لا يطالع الباطنيون هدي رسول الله ﷺ من خلال مصادر الحديث، والصحاح والسنن والمصنفات والشروح المبسطة أو التفصيلية، أو حتى مختصرات الصحاح، أليس في الكتاب والسنة علما لدنيا، أم أن مخالفة الكتاب والسنة في حد ذاتها غاية القوم والأمر المستحب عندهم؟

الفصل الثالث: مناقشة هادئة

يمكننا مناقشة الباطني من الناحية العقلية وبالحجة المنطقية، من خلال هذه الأسئلة:

نقول له: هل المعنى الظاهري للآيات القرآنية مراد من الله ﷻ أم ليس بمراد وبالتالي يحتاج لتأويل باطني؟ يقول الباطني: المعنى الظاهر مراد.

نقول له: ما الذي يدعو إلى صرف المعنى عن ظاهره، وإدعاء أن له تأويلا باطنيا؟

يقول الباطني: خشية على عقيدة العوام.

نقول له: إن الدين جاء للعامة أم للخاصة؟

إن قال الباطني بأحدهما فقد افترى على الله الكذب، وإن قال جاء للعامة والخاصة.

نقول للباطني: لو كان في ظاهر المعنى خشية على عقائد العوام لكان النبي ﷺ أسرع إلى تلافي ذلك والتنبيه عليه، فإذا سكت النبي ﷺ وجب عليكم السكوت.

يقول الباطني: المعنى الظاهر كالقشرة، والمعنى الباطن كاللب، لا يناله إلا أهله.

نقول له: هل يتوافق المعنى الظاهر مع الباطن أم يناقض المعنى الباطن النص الظاهر؟

ليس أمام الباطني إلا أحد أمرين: أن يقول: المعنيان متوافقان ومتفقان، وبالتالي تنتفي قضية الظاهر والباطن، أو أن يقول: يختلفان.

نقول له: أنت تقول أن ظاهر كلام الله، يخالف مراده الذي جعله للخاصة، فأي المعاني هو الحق، الظاهر للعوام، أم الباطن للخواص؟

يقول الباطني: المعنى الباطني هو المراد.

نقول له: أقمت الحجة على نفسك، حيث جعلت ظاهر القرآن والسنة وفهم السلف الصالح ناقص، وبالتالي يحتاج إلى تأويل، كما أنك ترد المعنى الظاهر، وتقبل اعتقادك الباطن فيه، ثم نسأل الباطني: هل المعاني الباطنة يجب إخفاؤها أم إظهارها؟

يقول الباطني: يجب إخفاؤها.

نقول له: ما وجب على رسول الله ﷺ إخفاؤه، كيف حل لكم إفشاؤه.

فإن قال: يجب إظهاره. نقول له: فلم كتمه رسول الله عن أصحابه، ومن أذن لكم أن تفشوه لأصحابكم.

ملخص الباب الرابع

* استخدام القرآن الكريم للفظة "لدن"، يعد دليلا قاطعا ضد الباطنية، وإذا جاز لنا أن نناقشهم بمنطقهم نقول لهم إن العلم اللدني الحقيقي هو القرآن الكريم.

* من الخطأ أن يستدل الباطنية على وجود علم لدني أسمى من علم الشريعة من قول الله تعالى في الآية القرآنية ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾.[1] فالقرآن الكريم لا يفرق في الاستخدام بين "عند" و"لدن".

* لا يفرق اللغويون بين "عند" و"لدن" في الاستخدام

* أظهرت المناقشة الجدلية لفكرة العلم الظاهر والباطن أنه لا ينبغي وجود تعارض بين الظاهر والباطن.

* بيان خطأ القائلين بأن مخالفة الشريعة علما لدنيا، بل هي علما شيطانيا ظلمانيا.

* لا ينبغي للسالك إلى الله في أي طريقة من الطرق الصوفية أن يُسلم قياد فكره وعقله ويسير وراء من يخالف الشريعة وأحكامها، سواء بتأخير الصلوات أو عدم آدائها، أو بالحديث في الغيبيات وادعاء الكشف الذي يهتك أستار العباد، ويطلع على عورات الناس، فما أطلع المشايخ على عورات المسلمين إلا الشيطان وأعوانه.

* توجيه الصوفية والباطنية إلى العودة إلى مصادر العلم اللدني الحقيقي، وهي الكتاب والسنة، بنفس الأسلوب الذي يتبعونه للدفاع عن المخالفات الشرعية على أنها فتوحات وأسرار من العلم اللدني.

* أن هناك اختلاط ومزج شديد عند الباطنية يتمثل في عدم اتفاقهم حول مفهوم واحد: هل الدين مقسم إلى مراتب ظاهرة وباطنة؟ أم أن العلم مقسم إلى ظاهر وباطن؟ أم أن الفهم يختلف باختلاف مقامات الناس وبالتالي هناك فهم ظاهر وفهم باطن؟ وهل هناك اختلاف وتضارب بين الظاهر والباطن يقتضي إخفاء الباطن وتداوله بين الخاصة من أهله.

ويناقش كتابنا التالي من هذه السلسلة هذه النقاط ويطرح فهم السلف الصالح لها.

---

١ سورة الكهف آية ٦٥

خاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بأكمل الرسالات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، تفضل الله عليه بأعظم الأعطيات، وأتم عليه النعمة، وأكمل له الدين، فكان حقا رحمة للعالمين.

ولا شك أن موضوع الظاهر والباطن يحتاج إلى مزيد بيان، فقد تعرضنا في هذا الكتاب إلى أساس الأمر وسنده الذي يستند إليه، فما من باطني إلا وهو ينسج على منوال لقاء موسى والخضر، ويرسم عليه معتقداته وأفكاره، ولذلك لجأ الباطنيون إلى فكرة بقاء الخضر إلى اليوم، وهم يدافعون بكل قوة على أن الخضر ولي، إذ لو أقروا بنبوته للزمهم أن يقروا بموته كشأن البشر جميعا، لذلك كثرت الحكايات عن لقائه والاجتماع به في اليقظة، وقد عايشت رجلين ممن يدعون الإجتماع بالخضر في اليقظة، وقد سألت أحدهما عن كيفية رؤيته للخضر؟ وكيف عرف أن الذي يراه هو الخضر؟

وقد كانت إجابات الرجل مفاجأة تامة، فالشبح الذي يراه لم يزعم في أي مرة أنه الخضر، ولا عرَّف نفسه بصفته العبد الصالح صاحب موسى، كل ما هنالك أن الرجل ظن في نفسه عندما رأى هذا الشبح في المرة الأولى أنه الخضر، ومنذ ذلك الوقت وهو يعامله على ذلك، ولا يتجرأ أن يسأل نفسه أو شبحه هذا من أنت؟

فالرجل سعيد بهذا الوهم، وأنه أصبح من خاصة الأولياء الذين يجتمعون يقظة بالخضر، وكل أمر يتلقاه عن شبحه هذا يؤديه على أكمل وجه، فليس عنده أوجب من طاعة الخضر على الوجه الأمثل، وكلما طال أمد اللقاءات كلما استقر قدمه في علم الباطن، وارتفع مقامه، فموسى لم يحتمل إلا ثلاث وقائع، وهذا يصاحبه من سنوات، والرجل لم ير من الخضر أفعالا كما رأى موسى عليه السلام، وكل ما هنالك أنه يتلقى تعليمات من الخضر، ولما سألته عن هذه التعليمات، أخبرني أنها معلومات عن زواره وزائراته وعن الأعمال والأسحار التي يقوم بفكها، وإبطال مفعولها، وطرد الجن الذين يمسون الناس ويخرجهم منهم وينهاهم عن لبسهم مرة أخرى، وبهذا ترى الأمر تحول إلى تعامل مع الجن لا غير.

أما الرجل الثاني فقد كان أمره أكثر عجبا، فقد صَارَحَني يوما أنه ارتكب أقبح الفواحش طاعة لخاطر ورد على قلبه، ألقاه عليه من يسميه الخضر،

وقد أثارت أفعال هذين الرجلين وأحوالهما فضولي الشديد للمعرفة ودراسة الأمر برمته،



وقد بدأت هذه الدراسة مند عقدين من الزمان، وتشعبت وتنوعت وتعمقت حتى عقدت النية على التصدي لهذه القضية، والله وحده من وراء القصد وعليه التوكل والاعتماد.

وسنستكمل في أجزاء هذه السلسلة - وهي الآن تحت الطبع - إلى كل ما يتعلق بالعلم الظاهر والباطن، وسيعالج كتابنا التالي فكرة تقسيم الدين أو العلم إلى ظاهر وباطن، وما هو الحق في ذلك التقسيم وما هو الباطل، ونقارن بين التقسيمات الوضعية وبين التقسيم الرباني لهذا الدين الخاتم، ونسوق أيضا فهم الصحابة والتابعين وسلف الأمة لهذه القضية.

وقد يقول بعض الناس أن هذا الكتاب نظري وقضيته من القضايا الفكرية أو الفلسفية التى لا طائل من ورائها إلا السفسطة وإحداث الفرقة، أما كان من الأولى أن نهتم بما ينفع الناس ويحل مشاكلهم؟ وإني لأرجو القارىء الكريم ألا يتعجل في حكمه على هذا الكتاب إلا بعد أن يطلع على أجزائه التالية، حيث يتبين له خطورة الأمر وأن ملايين من المنتسبين إلى الإسلام أصبحوا من أبعد الناس عن حقيقة هذا الدين، بل ستجد يا أخي الكريم أنهم يدينون بدين جديد، ويعتقدون بعقيدة لم يأت بها رسولنا الكريم المبعوث بالصراط المستقيم والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، بل إن الأجزاء التالية ستظهر المحاولات المعاصرة لإبعاد الناس عن حقائق الدين، بالدخول بهم في هذه المتاهات، وكيف حق عليهم قول الحق سبحانه: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾.[1] وصدقت فيهم نبوءة رسول الله ﷺ: ﴿لتتبعن سنن من قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍ لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن﴾.[2]

وفي الختام أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل جهدنا هذا، وأن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به السالكين والقاصدين، وأن يتجاوز عن زلاتنا، ويستر عوراتنا، ويؤمن روعاتنا، واعلم ياأخي الكريم أن ما تجده في كتابنا هذا حقا، فلله وحده الفضل والمنة، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، أما إن وجدت في الكتاب قصورا أو عجزا أو خطأ فمن نفسي، والله أسأل أن يغفر لنا ويسامحنا على ما بدر منا.

---

١ سورة الأنعام آية ١٥٩

٢ أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري كتاب الأنبياء حديث ٣١٩٧، وفي كتاب الاعتصام، ومسلم كتاب العلم حديث ٢٦٦٩، وابن ماجة في سننه ١٣٢٢:٢ وأحمد في مسنده ٨٤:٣، ٨٩، ٩٤

مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم

٢- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر ابن جرير الطبري - دار المعرفة بيروت

٣- الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي - كتاب الشعب

٤- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر للطباعة والنشر

٥- تفسير غرائب القرآن للنيسابوري

٦- روح المعاني في تفسير القرآن للألوسي البغدادي - دار الفكر

٧- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي - المكتب الإسلامي

٨- التفسير الكبير للفخرالرازي - دار إحياء التراث العربي

٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي - المكتبة العلمية

١٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - دار إحياء التراث العربي

١١- برنامج صحيح البخاري تطوير الشركة العالمية

١٢- برنامج صحيح مسلم تطوير الشركة العالمية

١٣- برنامج سنن الترمذي تطوير الشركة العالمية

١٤- برنامج سنن أبو داود تطوير الشركة العالمية

١٥- برنامج سنن النسائي تطوير الشركة العالمية

١٦- برنامج سنن ابن ماجة تطوير الشركة العالمية

١٧- برنامج سنن الدارمي تطوير الشركة العالمية

١٨- برنامج موطأ مالك تطوير الشركة العالمية

١٩- صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي

٢٠- صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي - دار الكتاب العربي

٢١- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري - المكتبة السلفية المدينة المنورة

٢٢- عون المعبود بشرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية

٢٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل - دار إحياء التراث العربي

٢٤- الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد لأحمد عبدالرحمن البنا - دار شهاب القاهرة

٢٥- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي - دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦- سنن الدارقطني - دار المحاسن للطباعة القاهرة

٢٧- صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور الأعظمي - المكتب الإسلامي
٢٨- المسند الجامع ترتيب بشار عواد معروف وآخرون
٢٩- مصنف عبدالرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي
٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة وصحيح السنن الأربعة للمحدث ناصر الدين الألباني - مكتب التربية، والمكتب الإسلامي، ومكتبة المعارف بالرياض
٣١- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار عالم الكتب بالرياض
٣٢- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتب العلمية
٣٣- مداج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم - دار الكتب العلمية.
٣٤- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد - دار صادر بيروت
٣٥- المدهش لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي - دار مروان للطباعة والنشر
٣٦- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - دار الكتاب العربي
٣٧- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي - مؤسسة الرسالة
٣٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني مطبعة السعادة
٣٩- تاريخ بغداد للخطيب للحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي
٤٠- تهذيب تاريخ دمشق الكبير للحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر
٤١- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر
٤٢- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - دار الكتب العلمية
٤٣- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني - دار الفكر
٤٤- المغني في الضعفاء للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
٤٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الذهبي - دار المعرفة
٤٦- الضعفاء والمتروكون للنسائي - دار القلم
٤٧- الضعفاء والمتروكون للدارقطني - دار القلم
٤٨- الضعفاء الصغير للإمام البخاري - دار القلم
٤٩- الضعفاء الكبير للعقيلي
٥٠- الموضوعات الكبرى لأبي الفرج بن الجوزي - المكتبة السلفية المدينة المنورة
٥١- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لأبي الفرج بن الجوزي - دار الكتب العلمية
٥٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية - دار المسلم مطبعة التقدم
٥٣- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني - دار الكتب العلمية.

٥٤- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي - دار الكتاب العربي

٥٥- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري - دار الكتب العلمية

٥٦- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي - دار الكتب العلمية.

٥٧- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي - دار المعرفة بيروت.

٥٨- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة علي بن محمد بن عراق الكناني - دار الكتب العلمية

٥٩- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث للعلامة لأبي الفرج الشيباني العبدري - دار الكتب العلمية

٦٠- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأبي اسحق النيسابوري المعروف بالثعالبي

٦١- الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري

٦٢- الفتوحات المكية محمد بن علي المعروف بابن عربي - دار الفكر

٦٣- النصوص في مصطلحات الصوفية لمحمد غازي عرابي - دار قتيبة

٦٤- معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبدالمنعم الحفني - دار المسيرة بيروت

٦٥- اصطلاحات الصوفية للقاشاني - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١

٦٦- عوارف المعارف للسهروردي - دار الكتاب العربي

٦٧- طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي - دار الكتاب النفيس

٦٨- كشف المحجوب للهجويري - دار النهضة العربية

٦٩- طبقات الأولياء لابن الملقن - دار المعرفة

٧٠- الطبقات الكبرى للشعراني - مكتبة محمد علي صبيح

٧١- اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر للشعراني - مكتبة مصطفي البابي الحلبي

٧٢- الإبريز للدباغ - مكتبة محمد علي صبيح

٧٣- اللمع لأبي نصر السراج الطوسي - دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ببغداد

٧٤- الحاوي للفتاوي للسيوطي - دار الكتاب العربي

٧٥- في رحاب أنصار الحق لمحمود ماضي أبو العزايم

٧٦- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن عبدالخالق - دار الحرمين للطباعة.

٧٧- الزهر النضر في نبأ الخضر للحافظ ابن حجر العسقلاني - مكتبة القرآن

٧٨- الخضر عليه السلام وشأنه في الأنام لحسين محمود السلواوي - مطبعة خاصة
٧٩- حياة الخضر لمحمود شلبي - دار الجيل بيروت
٨٠- ختم الأولياء للحكيم الترمذي - المطبعة الكاثوليكية بيروت
٨١- الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية - الدكتور عبدالفتاح عبدالله بركة - مجمع البحوث الأسلامية
٨٢- فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي
٨٣- إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفي الشكعة - الدار المصرية اللبنانية
٨٤- دراسات في الفرق للدكتور صابر طعيمة - مكتبة المعارف بالرياض
٨٥- موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى للدكتور يوسف القرضاوي - مكتبة وهبه.
٨٦- الميزان الخضريه للشعراني - طبعة عالم الفكر
٨٧- ينابيع المودة
٨٨- الأنوار النعمانية
٨٩- إلزام الناصب لليزيدي الحائري
٩٠- لسان العرب لابن منظور - كتاب الشعب
٩١- المعجم الوسيط.
٩٢- النحو الوافي لعباس حسن - دار المعارف

فهرس كتاب موسى والخضر

[تم بحمد الله تعالى]

دار الطباعة والنشر الإسلامية

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ تلفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسى ت ٤٠٣٨١٣٧٠ تلفاكس ٤٠١٧٠٥٣٠

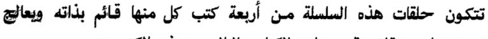
الكتاب في سطور

يناقش هذا الكتاب الأساس الذي قام عليه الفكر الباطني، وتقسيم العلم إلى ظاهر وباطن، فما زال لقاء موسى والخضر يمثل حجر الزاوية في هذا البناء.

■ يبحث الكتاب في ضوء القرآن والسنة وإجماع علماء الأمة كل ما ترتب على هذه القصة من قضايا ومنها: حياة الخضر ومولده، وعمره وهل هو حي حتى تقوم الساعة؟ وهل التقي الخضر بالنبي ﷺ أو بأي من الصحابة: أبي بكر وعمر وعلي وأنس؟ أم تراه اجتمع وعمر بن عبد العزيز وغيره من التابعين؟ ما هي مهمة الخضر؟ هل هو ملك أو نبي أم ولي؟

■ يتناول الكتاب لقاء موسى والخضر، وسبب اللقاء ودروسه وعبره المستفادة، ويقدم تفسيرا للتشابه بين أفعال الخضر وأحداث في حياة موسى.

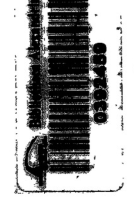
■ يناقش الكتاب الفرق بين المعجزة والكرامة وفكرة العلم اللدني، وهل هناك علم لدني وعلم عندي؟ ويتأمل استخدام القرآن للفظي لدن، وعند، ويمهد لمناقشة أوسع في الكتاب التالي.



سلسلة الظاهر والباطن

تتكون حلقات هذه السلسلة من أربعة كتب كل منها قائم بذاته ويعالج موضوعا مستقلا يقوم عليه الكتاب التالي، وهذه الكتب هي:

١- موسى والخضر علمي الظاهر والباطن
٢- ظاهر الدين وباطنه
٣- تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية
٤- عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة



سعر الكتاب ٨٠٠ قرش